مجلة العلوم العربية والإنسانية | E-ISSN : 1658-9602 |
جامعة القصيم، المجلد الالكتروني (١)، العدد (١)، ص ص ١٨٥-٢٣٥، (محرم ١٤٤٤ هـ/ يوليو ٢٠٢٢)، المجلد العام (١٦)

ميثاق الأخبار ومشروع الكتابة عند الصولي(٣٣٦هـ)
قراءة تداولية في كتاب "أخبار أبي تمام"

د. طنف بن صقر العتيبي
أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة المجمعة
(قدم للنشر في ١٤٤٣/٤/٧ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٣/٨/٢٠ هـ ونشر في ١٤٤٤/١/١هـ)

ملخّص البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإسهام في مناقشة مشروع الكتابة في أدب الأخبار والنظر في السياق الذي يُنجز فيه الخطاب. وقد حاول الباحث -انطلاقا من كتاب" أخبار أبي تمام" لأبي بكر الصولي - دراسة الخبر والهوية الأدبية. في القسم الأول، حاول الباحث الكشف عن مكونات هذا الكتاب، وقد وجدها متجلّية في المكون الشعري والمكون النقدي والمكون السردي، وأوقفه البحث على جملة من القضايا الأدبية والنقدية تضمنها كتاب الصولي. أما في القسم الثاني فقد كشف البحث عن كيفية تعامل الصولي في تلك الأخبار مع وضعيات التلفظ من خلال النظر في مشكل القراءة والأساليب الإقناعية التي اتخذها المؤلف في السرد والعرض. ويعني ذلك أنّ البحث قد توسّل بالمنهج التداولي، وهو أداة ساعدت الباحث في الكشف عن هذه القضايا.

الكلمات المفتاحية: خبر، مكون نقدي، مكون سردي، أبو تمام، الصولي.

Title of the Study: The News Charter and the Writing Project for Al-Souli A literary Pragmatic Reading in Akhbar Abi Tamam Book

Dr. Tanaf Saqr Al-Otaibi
Associate Prof. of Arabic Literature and Criticism, Majma'ah University.
Received on 7-4-1443 AH Accepted on 20-8-1443 AH Published on 1-1-1444 AH

Abstract:

This research seeks to contribute to the discussion of literary writing presented in the news, which consider the context as a critical component of discourse. Influenced by the book "Akhbar Abi Tammam" which was written by Abu Bakr Al-Souli, this article highlights issues pertinent to news and identity in such a literary work. The first section of the artilce, the author identifies that such a literary work contains poetic, critical, and narrative components, which are related to the components of Al-Souli's book. The second section of this article reveals how Al-Souli dealt in this news with the situations of pronunciation by looking at the issues of reading and the persuasive methods adopted by the author in the narration and presentation. Thus, the pragmatic approach was the means that scaffolded the researcher in revealing these issues.

Keywords: news, narrative, poetic component, critical component, narrative component, Hajjajiya, Abu Tammam, Al-Souli.

المقدمة:

شكّلت تجربة السرد في الحياة الثقافية العربية انعطافة فريدة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، بوصفها انخراطاً مخصوصاً في الواقع المعيش؛ خاصة وأنها كانت مؤطرة بخطاب أدبي يمدها بالدفق الذاتي أحياناً والموضوعي أحايين كثيرة. وقد خلق السرد العربي القديم المتنوع بأشكاله وأنماطه، والغني بمضامينه ودلالاته، مسارب متعددة؛ فسلك الكتّاب من خلالها سبلاً كثيرة، وطرقوا أجناساً متباينة، وأشكالاً من الكتابة الأدبية التي تستند إلى معايير جمالية وفنية تحقق أغراض تلك الكتابة.

إنّ تعدد المقاربات النقدية دليل واضح على أن الكتابة الأدبية أرحب من أن يحيط بها منهج نقدي بعينه، وأغنى من أن تُختزل في جنس أدبي واحد، أو شكل من أشكال الأدب مخصوص. ونحن –هنا - نحاول أن نناقش وجهًا من وجوه السرد العربي ينطلق من الواقع وإليه يعود، ويتّخذ من الرواية أرضية صلبة تشكل ملامحه الخاصة؛ فكان من الضروري أن نناقش هذه المسألة من خلال النظر في الخبر الأدبي؛ بوصفه وحدة سردية شكلت كثيراً من ملامح النثر العربي القديم، ونالت حظاً وافراً من الحضور في مؤلفات يجمع الدارسون على أنها من أمهات الأدب العربي. وقد رأينا في كتب كثيرة أن الخبر جنس مشاع وحق مشروع للرواة، يعسر إضافة ملكيته إلى مؤلف معلوم، على خلاف الشعر والمقامة والرسالة.

واستناداً إلى هذا المفهوم، نظر النقاد في كتب الأخبار ووقفوا؛ فأطالوا الوقوف على مؤلفيها، وموضوعاتها وأغراضها، وتراجم الشخصيات فيها، وأغفلوا كثيراً البحث في السمات التي تميزها من غيرها، والنظر في الظواهر الخاصة التي تدرجها ضمن منظومة الأجناس السردية. وقد رأينا في هذا البحث أن نفسح المجال واسعاً للنظر

في ميثاق الأخبار ومشروع الكتابة، وأن نتخذ من "أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي" مدونة نصّيّة للتطبيق؛ لأنه في نظرنا من أواخر كتب الأخبار التي نضجت فيها الأسانيد، وأخذت شمس المشافهة فيها تميل نحو الغروب، وإن كانت في الأصل لم تخل من أثر للمشافهة في بعض مقاطعها. ومن هنا فإن أخبار أبي تمام يمكن اعتبارها مدونة نصّيّة تثير عدداً من القضايا الأدبية والبنائية التي يتوقف عليها فهمنا لأدب الأخبار، وللموقع الذي تحتله من منظومة الأجناس في الأدب العربي القديم. ولعل هذا المسار يقودنا إلى النظر في واقع أخبار أبي تمام؛ باعتبارها عملاً فنياً يندرج في نسق أدبي له مؤلف معلوم وقارئ خاص وعام، وعلاقات أخذ وعطاء؛ فليست أخبار أبي تمام صورة وفية من حياته الذاتية والاجتماعية وعلاقاته مع الشعر ونقده، وإن كانت فيها منها أصداء، وإنما هي طرح أدبي يريد أن يثير قضايا في الكتابة و في أساليب في السرد والعرض، أو خلخلتها أو إصلاحها أو الانتقاض عليها. وعليه فإن اختيارنا لهذا العنوان وتلك المدونة جاء للأسباب الآتية:

١ -الوقوف على المفارقة التي تتجلّى بين إنتاج الأخبار وحضورها في كتب الأدب من جهة، وبين قلة حظها من اعتناء الدارسين.

٢ -معرفة خصائص الخبر الأدبي التي يتميز بها من غيره من الأشكال والأجناس والأنواع.

٣ -النظر في صلة المؤلف بنصِّه، في ظل الأسانيد التي تُفتتح بها الأخبار.

وقد كان الهدف من هذه الدراسة إثارة القضايا التي يمكن من خلالها قراءة أخبار الصولي؛ خاصة إذا ما علمنا أن الخبر خطاب دائرٌ بين متلفظ وملفوظ، بل إنه أغلب أحواله يسرد أحداثاً تنأى قليلاً أو كثيراً عن التخييل، وتقترب أكثر من قضايا المرجع، ولعل أبرز تلك الأهداف ما يأتي.

١ -قراءة أخبار الصولي بحثاً عن سمات الأدبية فيها.

٢ -النظر في هوية الخبر ومكوناته.

٣ -الوقوف على قضية الخبر وسلطة المؤلف والقراءة.

٤ -قراءة أخبار الصولي باعتبارها خطاباً حجاجياً يفتح أساليب للإقناع.

ونحن سنتّجه أكثر عند الاقتراب من ميثاق الأخبار ومشروع الكتابة عند الصولي نحو المنهج التداولي ؛ لأن الإخباري في هذه المدونة يعتبر مبدعاً قبل أن يكون كاتباً، وعليه أن يخترق صيرورة السرد التراثية ؛ ليؤسس لنموذج سردي أصيل، ويطرح قضاياً تختص بالإبداع والكتابة. فالتداولية من شأنها أن تفتح هذه الأخبار على مسألة المعنى وقضايا المرجع والهوية. ومن هنا فإننا لا نعتبر الصولي مؤلف أخبار أبي تمام مؤرخاً ؛ فهو يستلم تلك الأخبار من الرواة سواء كانوا مؤرخين أم إخباريين، ويستعملها في قراءة واقع أبي تمام، وعرضها أمام أنصاره وخصومه.

على أن هناك أمراً آخر يلح علينا في هذه المقاربة، وهو أن تلك الأخبار لا تكاد تخرج عن موافقة المؤلف الذي يذكر وقائع حصلت لأبي تمام وأحداثاً ماضية لتلك الأحداث على النحو الذي حصلت عليه في زمانها. لذا فإن قراءة هذه الأخبار قد تجعلنا نتعامل مع المدونة على أنها خطاب واقعي يراوح باستمرار بين الذاتي والموضوعي. فهل راعى الصولي نواميس تلك الذاتية أو الموضوعية؟ وهل كان للهوى والخيال والانحياز أثرٌ واضح في تلك الأخبار؟ أم أنها تنحو منحىً حيادياً؟ وهل كان الصولي أو الرواة الآخرون فواعل أو أطرافاً في طرائق الإخبار والاستخبار؟ أم أننا تسلمنا تلك الأخبار من مؤرخين التزموا الصدق وتحري الحقائق؟ للإجابة عن هذه

التساؤلات وعلينا ـــ للإجابة عن هذه التساؤلات ـــ أن ننقاش المدونة من خلال الخبر والهوية الأدبية، والخبر الأدبي وسلطة المؤلف.

١ -في الخبر والهوية الأدبية:

تعلن فواتح نصوص الصولي عن أنها من السرد المرجعي؛ فالراوي يعلن في فاتحة الخبر ميثاقاً مع القارئ يلتزم فيه الصدق ويتحرّى الحقائق من خلال سلسلة من الأسانيد المتصلة ومراتب من التحمّل مخصوصة وعبارات للأداء واضحة. كل هذا ينبئُنا باستمرار عن أن الفعل السردي كائن في الواقع المعيش أو أنه ممكن الوقوع. وهكذا يبدو لنا الخبر ذو هوية تميزه من غيره خاصة في نقل صور الماضيين، وإذا نحن تجاوزنا ذلك كله ونظرنا في المجال الأدبي رأينا أن أخبار الصولي يمكن أن توجه إلى مقاصد مختلفة، وترتحل إلى أغراض متباينة؛ فقد وضعنا مؤلفها على عتبة هويتها الأولى وأدرجها ضمن حرم الأدب، ونأى بها عن التاريخ؛ حيث يقول في مقدمة كتابه في رسالة مطولة إلى أبي الليث مزاحم بن فاتك: **" أما بعد: أدام الله أرغد العيش(...) فإنك حادثتني آخر عهد التقائنا فيه فيما أفضنا فيه من العلوم، أمر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وعجبت من اقتران آراء الناس فيه؛ حتى ترى أكثرهم، والمقدم في علم الشعر، وتمييز الكلام منهم والكامل من أهل النظر والنثر فيهم، يوفيه حقه في المدح، ويعطيه موضوعه من الرتبة(...) وترى بعد ذلك قوماً يعيبونه، ويطعنون في كثيرٍ من شعره، ويسندون ذلك إلى بعض العلماء(...) فعرّفتك أن السبب فيما ذكرت وتضمنت لك شرح ما وصفت(...) فرأيت من سرورك بذلك وارتياحك إليه وصبابتك به، ما حداني على استقصائه لك والتعجيل به عليك، وإهدائه في رسالة إليك تتبعها أخباره كاملة في جميع فنونه"**[(١)]. إن الكاتب هنا ينزل كتابه في مساره الأجناسي؛ فهو عبارة

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، تحقيق: بيتاريس جريندلر، د. ط، المكتبة العربية، د.م، ص ٨.

عن أخبار تناقلها الرواة لشاعر مخصوص، وكتابات نثرية، تثير قضايا تداولية، تستند في أغلب أحوالها إلى الذاكرة وتنبري لممارسات نقدية. وبناء على ما عقده الصولي مع قارئه منذ الوهلة الأولى يكتسب الكتاب هويته؛ الأمر الذي يجعل القارئ يلاحق سياقات الخطاب؛ بحثاً عن مسارب أدبية يمكن أن تتجلى في أخبار أبي تمام ومواقف خصومه وأنصاره، ولعل هذا ما يمكن أن نصطلح عليه في الدرس التداولي بالخطابية أو التلفظية أي النظر في سياقات الكلمة بحثاً عن معانٍ صريحة أو ضمنية[١].

إنّ رغبة الصولي في تقييد أخباره بقيود الأدب، وإفراد نصوصه لأخبار شاعر أديب، يؤكدان لنا أنه عارف بتفاصيل عديدة عن أخبار أبي تمام، وهو تقييد يحمل القارئ على تقبل الأخبار باعتبارها نقلاً لما جرى في رحاب الأدب. وهكذا جعل الصولي مشروعه الكتابي وفياً لمبدأ الهوية الأدبية، واستطاع أن يتجاوز في أخباره نمط الكتابة المألوفة، وهي كتابة تسعى إلى تجاوز معايير البلاغة التقليدية، ولعل هذا الجانب ينقلنا إلى رؤية جمالية تحقق متعة النص الأدبي. لذا كان من الضروري ونحن نناقش مسألة هوية الخبر الأدبي أن ننظر في مكونات الخبر عند الصولي، وهي ـــ وفق ما استخلصنا ـــ ثلاثة مكونات: المكون الشعري، والمكون النقدي، والمكون السردي.

١ -١ -المكون الشعري:

معلوم أن أخبار أبي تمام كلّها تدور حول الشعر . ولا يمكننا قراءة هذا الحضور للشّعر على أنه وجه من وجوه التداخل الأجناسي؛ بل هو محاولة من الصولي نفسه،

(١) ينظر: روبول(آن) وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دعفوس، ومحمد الشيباني، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٧٣.

لجعل الشعر جنساً فرعياً يحمل وظيفة أدبية همها التمثيل والإقناع لحظة التلفظ. ومن هنا فإن الشعر يعرض إمكانيات تجعله قادراً على أن يُكَوِّن للأخبار هوية أدبية ؛ فحضوره طي الأخبار يثير كل مرة قضية أدبية. يقول الصولي في خبر تفضيل أبي تمام : **" حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه(...) وعرضوا عليه الأشعار، فقال له بعضهم: هاهنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طراً، ويزعم غيره ضد ذلك. فقال: أنشدوني له، فأنشدوه [من الطويل]:**

غدت تستجيُر الدّمعَ خوفَ نوى غدِ وعــادَ قتاداً عنْدها كلّ مرْقدِ
وأنقذهـا من غَمْرةِ المــوتِ أنّـــهُ صُدودُ فراقٍ لا صُدودَ تعمّدِ
فأجرى لها الإشْفاقَ دمْعاً مُــورّداً من الدّمْعِ يجْري فوقَ خدٍ مورَّدِ
هي البــدرُ يُغْنِيها تودّدُ وجْهِــها إلى كلِ منْ لاقتِ وإن لم تودّدِ

فقال عمارة: لله دره، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه، حتى لحبّب الاغتراب هيه"[1]. والملاحظ أنّ بنية الخبر قد تأسّست على حدث مركزي قوامه استعراض شعر أبي تمام، وقد تقدم وفق معطى نفسي يمثل اللحظات الحاسمة للحكم على الشاعر، وهو معرفة أشعر الناس، ونفي ذلك عنه، ومعطى آخر ذهني موضوعي يمثل تأكيد ذلك والحكم عليه. ومن هنا جاء الشعر مكوناً قطب الرحى وخادماً للخبر، وكاشفاً عناصر السياق التخاطبي الداخلي، ومواقف أطراف الحوار، وهما عمارة بن عقيل وأولئك الناس ؛ فكان من الضروري أن يكون المقام في هذا الخبر مقام الشعر الذي حقق وظيفة تواصلية وغايات وأحكام برهانية ؛ فنشأت عن هذا المكون بلاغة الخبر وأدبيته.

---

(١) الصولي(أبو بكر) أخبار أبي تمام، ص ص ٤٠ ، ٤١.

إنّ هذه الأشعار التي يدرجها الصولي طي أخباره لا يمكن اعتبارها هامشيّة في الخبر، ولا يمكن الاستغناء عنها؛ بل إنها غاية من الغايات التي يسعى إليها الخبر، وتدخل في سياقات متعددة، كالاستجابة لأفق انتظار القراء والسامعين، وإقناعهم بشعر أبي تمام وتمييز جيده من رديئة. يقول الصولي في خبر أبي تمام مع البحتري: " **حدثني أبو الحسن علي بن محمد الأنباري: قال: سمعت البحتري يقول: انشدني أبو تمام لنفسه [من السيط]:**

وسابحٍ هَطلِ التّـــــعدّاء هـتّان على الجراءِ أمينٌ غيْرَ خوّانِ
أظمى الفَصُوصَ ولم يتظمّأ قوائمهُ فخلَّ عيْنيكَ في ظمْآنَ ريّانِ
فلو تراه مشِيحاً والحـصى زِيمٌ بين السَّنَابِك مِنْ مثْنى ووحْدَانِ
أيْقنتَ إنْ لم تثبّت أنّ حافرهُ مِنْ صَخْرِ تدمرَ أو من وجهِ عثمانِ.

ثم قال: ما هذا من الشعر. قلت: لا أدري. قال : هذا المستطرد أو الاستطراد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُرى أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان"[(١)].

إنّ ما نراه من وجوه الطّرافة في هذه الأخبار أن الشعر يبدو محوراً تدور حوله أخبار أبي تمام، وهو أيضاً وسيلة تؤيد تلك الأخبار، وتحاول أن تُدخِل هذا الكتاب حرم الأدب. وهكذا فإن الشعر هو الذي يمكننا من النظر في أخبار أبي تمام باعتبارها أدباً يندرج ضمن الأجناس الأدبية؛ فيصبح الخبر والشعر متداخلين تربط بينهما علاقات، خاصة إذا ما علمنا أن البعد التداولي في هذا الجانب لا يمكن أن يتجلّى إلا من خلال البحث في علاقات الخطاب الأدبي بالأحوال والمقاصد[(٢)]. ومن هنا يتحدد

---

(١) السابق، ص ٤٥.

(٢) ينظر: العمري(محمد)، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د.ط، أفريقيا الشرق، =

الشعر باعتباره مكوناً تندرج تحته عناصر التواصل بواسطة العلاقات المبثوثة في الخبر؛ فقول أبي تمام(هذا من الشعر)، وردّ البحتري بعدم المعرفة، ثم إجابة أبي تمام، أدلة على التزام الخبر واقترانه بالشعر. لذا كانت العلاقة تلازمية بين المتخاطين، وهنا تتجلّى لنا سمة أخرى يفرضها الشعر على الخبر، وهي ضبط سياقه وبيان غرضه وإدراك مقاصده.

إنّ التنظيم الذي خضعت له أخبار أبي تمام والطريقة التي عرض بها الصولي قضاياه، يدلان على التزامه بضوابط رواية الأخبار، ولعل هذه طريقة تتعلق بطبيعة الخبر وشكله ومبررات ذكره؛ لذا كان حضور الشعر يأتي مراعياً نوع المقام وطبيعة المقصد، فلا نجده يستطرد كثيراً في السرد خاصة في الأخبار التي يكون غرضها استعراض أخبار أبي تمام: يقول الصولي: **" حدثني محمد بن موسى، قال سمعت الحسن البصري وهو يقول: دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك، فأنشده قصيدته التي أولها: [من الطويل] "لها علينا أن نقول وتفعلا"، فلما بلغ إلى قوله:**

وجدْناكَ أنْدى مِنْ رجالٍ أنامِلاً وأحسنَ في الحاجاتِ وجْهاً وأجْمَلاَ

تُضَيِّءُإذا اسْودّ الزمانُ وبعُضهُم يرى الموتَ أنْ يَنْهل أو يَتهــلْهَلا

ووالله ما آتِيكَ إلّا فَرِيْضَــــــةً وآتِي جَمِيْعَ النّاسِ إلّا تَنــفــــُلا

فأمر له بخمسة آلاف درهم"[1]. إن الشعر أصبح يرتبط بالبنية النصية للخبر برابط نصي تفاعلي تكاملي، بمعنى أنه يؤسّس تقنيات البناء والتّرابط الذي ينتظمها ويُبدع فيها، وهذا بدوره يجعل الخبر خطاباً أدبياً قائماً على سياقات بنائية في ذهن الكاتب

=

٢٠٠٥، ص ٤٥.

(١) الصولي(أبو بكر) أخبار أبي تمام، ص ٧٢.

والمتلقي ؛ لأن الخطاب الأدبي عبارة عن بنية تعبيرية منتظمة خاضعة لعمليات اشتقاقية ذهنية متسلسلة متمركزة في النص المحفز لعملية القراءة[١].

لقد استطاع الصولي أن يوظف الأشعار لبناء الأخبار ؛ فأصبحت العلاقة بين الخبر والشعر علاقة تكاملية تؤدي إلى تشكيل خصائص الخبر ومضامينه ؛ فالخبر يستحضر الشعر ويجعله مكوناً بنائياً، والشعر يندرج ضمن إطاره ويكون متمماً أدبياً ووسيلة لإيصال رسالة الكاتب وتوسيع أفق التلقي ؛ وهنا يتجسد المشهد بطريقة أكثرا تأثيراً وثباتاً في الذهن. وهكذا نجد الشعر يتشاكل مع الخبر؛ ليؤدي وظيفة أدبية ؛ فالخبر يناظر الشعر، ويماثل النثر[٢].فالشعر والخبر ــ إذن ــ متممان لبعضهما البعض ومختلفان جنساً، وهما يتحاوران في هذه المدونة ويمثلان القيمة الأدبية والنفعية للكاتب/ الصولي، بالإضافة إلى " أن ثمة علاقة بين الأشعار والأخبار معقدة فيها شيء من التواطؤ، وفيها شيء من الصراع"[٣]. ومن هنا يمكن اعتبار الشعر في أخبار أبي تمام سلوكاً نصياً يدفع بالقارئ ويحيله على سياقات أدبية يقارب بها المعنى القصدي الذي ترومه كل قراءة. وفي مقابل هذا الحضور القوي للشعر، على القارئ أن يدرك قيمة حضوره وتعدد أغراضه، وتشعب أنساقه ؛ لأن هذه الأشعار ممارسات وخيوط مضيئة تساعد على الوصول إلى لمعنى القصدي.

---

(١) ينظر: الجراح(عبدالمهدي)، فاعلية المكون السردي في الاتساق اللساني للنص، (نماذج من شعر أبي فراس)، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد ١٥، عدد ١ نيسان، ٢٠١٨م، ص ٣٩٧.

(٢) ينظر: القاضي(محمد)، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٩٩٨م، ص ٦١.

(٣) السابق، ص ٥٤١.

وقد يرد الشعر في أخبار أبي تمام في سياق مقارنة بين الشاعر وشاعر آخر، على نحو ما نجد في مقارنة الصولي بين أبي تمام والبحتري؛ حيث يقول: **" وجاذبني يوما بعض من يتعصب على أبي تمام بالتقليد لا بالفهم، ويقدم غيره بلا دراية. فقال: أيحسن أبو تمام أن يقول كما قال البحتري: [من الطويل].**

تَسَرَّعَ حتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الوْغَى لِقَاءُ أَعَـــادٍ أمْ لِقَاءُ حَبائِبِ

فقلت له: وهل افتضّ هذا المعنى قبل أبي تمام في قوله: [من البسيط]

حَنَّ إِلى المَوتِ حَتىَّ ظَنَّ جَاهِلُهُ بأنَّه حنَّ مُشْتَاقاً إلى وَطَنِ (...)

وقال أبو تمام: [من الطويل].

شَهِدتُ جَسِيمَاتِ العُلا وهو غائِبٌ ولَوْ كانَ أيْضاً شَاهِداً غائِبا

وقال البحتري: [من الطويل].

نَصَحْتُكُمُ لَوكَان لِلنُّصْحِ سَامِعٌ لَدَى شَاهِدٍ عن مَوضِعِ الفَهْمِ غَائِبِ[1]

وهكذا يستطرد الصولي في ذكر أبيات أبي تمام وأبيات البحتري، ويورد أكثر من عشرين بيتاً؛ لأجل أن يضع القارئ أمام معايير فنية ذات ارتباط بسياق المكتوب، بل إنه أراد من ذلك أن يفُهم القارئ أن الخبر قد يولد في إطار الشعر، فيصبح الشعر هو المكون لوجود الخبر، أو هو حسب مصطلح كريماس النواة السيمية (Le noyau sémique)، التي تعد أصغر مقوم وهو مرتبط بمعنى أحادي ذي معجمية ثابتة[2]. أما مضمون الشعر فهو الذي يمثل السمات النصية للمعنى ، واستناداً إلى هذا القول فإن الخبر كان ينظر إلى الشعر من حيث مكوناته السيمية أو الثابتة، دون أن يهتم بالرؤى التي تختلف باختلاف الأشخاص.

---

(١) الصولي(أبو بكر) أخبار أبي تمام، ص ص٥١، ٥٢.

(٢) ينظر: سمير(حميد)، في التراث الأدبي، ط١، النادي الأدبي بجدة، ١٤٣٠هـ، ص ١٧٣.

وقد لا تخرج الأشعار كثيراً عن معايير التقليد الأدبي الذي كان سائداً في تلك الحقبة، ولا تنحرف كثيراً عن أفق انتظار الشعرية القديمة، وإذا حصل أن وقع هذا الانحراف؛ فإن مساق الأخبار قد يفسر الانحراف، ويوضح علته. وهكذا فقد تواضع الخبر كثيراً لصالح الشعر واستطاع أن يرصد فضائل أبي تمام على غيره من الشعراء.

١ -٢ - المكون النقدي:

تمثل أخبار أبي تمام للصولي مسلكاً نقدياً مهماً في النقد العربي القديم؛ بل إنّ قراءتها تسلمنا إلى العناية بقضايا مختلفة في النقد ولعت بها الدراسات القديمة والحديثة، خاصة إذا ماعلمنا أنّ أبا تمام دارت حول شعره معركة نقدية تمخضت عن كتب نقدية كانت من صميم المباحث النقدية لاحقاً، على نحو ما نجد في موازنة الآمدي، وهكذا جاءت نصوص هذه الأخبار حاملة قيماً نقدية متواترة جسمت القيم التي أقام عليها أبو تمام معظم شعره.

إن الذي شد النظر إلى هذه الأخبار ودعا القراء إلى إدامة النظر فيها، إنما هو الجانب النقدي الذي تضمنته، والخلاف حول شعر أبي تمام. وإذا كان متقبل هذه الأخبار وهي تلقى بالمشافهة أو تعرض مكتوبة يعرف طرائق أبي تمام في قول الشعر ومذهبه في التجديد، وإسرافه في الغريب، فإن هذا أيضا يطلعه على حركات النقد العربي، ويجعله ينظر في أطوارها، ويدرك تفاصيلها، وإن ابتعد عن أحداثها زماناً ومكاناً. فالأخبار إذن يمكن اعتبارها أثراً مكتوباً وعلامات تحيل إلى قضايا نقدية منطلقة من مقامات متباينة. يقول الصولي في خبر دعبل الخزاعي: **"حدثني أبو بكر هارون بن عبدالله المهلبي، قال: كنّا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام. فقال دعبل: كان يتتبع معانيّ فيأخذها. فقال له رجل في مجلسه: أما من ذاك أعزك الله؟ قال قلت: [من الكامل]**.

إنَّ امْرأً أَسْدى إليّ بِشَافِعٍ إِلَيهِ ويْرجُونَ الشْـكَرَ مِنِّي لأَحْمقُ
شَفِيعَكَ فَاشْكُر فِي الحَوَائِجِ إِنَّه يَصُونُكَ عنْ مَكْرُوهِهَا وهْو يُخْلِقُ

فقال له الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ قال: قال [من الكامل].

فَلَقِيتُ بَينَ يَدَيكَ حُلْوَ عَطَائِهِ ولَقِيتَ بيْن يدَيَّ مُرَّ سُؤَالِهِ
وإذا امْرُؤٌ أَسْدَى إليّ صَنِيعَة مِنْ جاهِهِ فَكَأَنَّهاَ مِنْ مَالِه

فقال الرجل: أحسنت والله. فقال: كذبت، قبحك الله. فقال: والله لئن كان أخذ هذا المعنى، وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك لقد أجاد، فصار أولى به منك. فغضب دعبل وقام"[1]. يكشف هذا الخبر موقفاً نقدياً مثيرا قوامه السرقة الشعرية وأخذ المعاني، وإضفاء حلة جديدة عليه، وهو أيضاً يكشف تفضيل أبي تمام على دعبل. وهكذا استحوذ النقد على مملكة الخبر؛ فجاء مساره ومقصديته يشدانه إلى فضاء النقد والمفاضلة بين الأشعار أكثر من كونه حكاية تُروى، إنه طريقة بسيطة لإطلاق أحكام نقدية تُستثمر فيها إمكانات اللغة وطاقاتها التعبيرية. ولعل ما يستدعي النظر أن الصولي يعمد إلى الاقتصاد في السرد واختزاله إلى إضاءات نقدية مكثفة، ومن هنا يتبين لنا أن الخبر يمكن أن يندرج في مقامات مختلفة، ويدخل في تحقيق مقاصد يحددها سياقه العام[2]. وإذا كان الخبر قد أتاح لنا مجالاً للإخبار؛ فإنه في الوقت عينه قد ساعد الإخباري/ الصولي على استثمار أشكالٍ تعبيرية وفنية في تجديد أدواته النقدية، فالصولي دون شك يحاول الانتصار لأبي تمام في هذه المدونة، وخرق قواعد كتابة

(١) الصولي(أبو بكر) أخبار أبي تمام، ص ص ٤٢، ٤٣

(٢) ينظر: زروق(محمد عبدالله)، التاريخي والتخييلي في الخبر، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد٣١، سبتمبر ٢٠١٩م، ص ٢٥.

الأخبار؛ فهو يعرف شعر أبي تمام على الصواب، ويكشف لنا أن المادة الإخباريّة لديه جاهزة[١].

إنّ حضور المكون النقدي واندراجه في أخبار أبي تمام هو – في نظرنا - ما أكسب تلك الأخبار أنفاساً نقدية متجددة في ذلك العصر، بل إنّ الأمر يجاوز ذلك إلى تجديد إنتاج المادة الأدبية عند الصولي، كون النقد أصبح المادة الأولية لأي فعل سردي أو كتابة إخبارية. يقول الصولي: **" حدثني أبو العباس عبدالله بن المعتز، قال: جاءني محمد بن يزيد بن المبرد يوماً، فأفضنا في ذكر أبي تمام، وسألته عنه وعن البحتري، فقال: لأبي تمام استخراجات لطيفة، ومعانٍ طريفة، لا يقول مثلها البحتري وهو صحيح الخاطر حسن الانتزاع. وشعر البحتري أحسن استواء، وأبو تمام يقول النادر والبارد، وهو المذهب الذي كان أعجب إلى الأصمعي. وما أشبِّه أبا تمام إلا بغائص يخرج الدر والمخشلبة. ثم قال: والله إن لأبي تمام والبحتري ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجد فيه مثله. قال أبو بكر: وقول أبي العباس المبرد ما أشبِّه أبا تمام إلا بغائص، فإنما أخذه من قول الأصمعي في النابغة الجعدي، نجد في شعره مطرفاً بآلاف وكساءً بوافٍ"**[٢]. يدلّ هذا الأسلوب في عرض الخبر على أن النقد قد امتص الخبر، وبذلك حوّله بأن جعله جزءاً من بنيته، وجليٌّ للناظر أنّ الصولي الإخباري يكشف عن ذات الصولي الناقد؛ ولكنه لا يتيح له فرصة الظهور، وإنما يتخفّى وراء أقوال غيره وآرائهم في النقد.

---

(١) ينظر: صمود(حمادي)، بلاغة الانتصار في النقد العربي القديم،" رسالة أبي بكر الصولي إلى مزاحم بن فاتك أنموذجاً"، ط١، دار المعرفة، تونس، ٢٠٠٦، ص ٨٦.

(٢) الصولي(أبو بكر) أخبار أبي تمام، ٦١.

ومن هنا فإن الخبر بوصفه عملاً أدبياً ونقدياً أصبح راصداً يتتبع الانزياحات التي تظهر في الأعمال الأدبية ؛ ليتلاءم العمل الأدبي مع ذاته ومع روح عصره" وفي هذا الانزياح يكمن التجديد في الأدب"[(١)]. وعليه فإن حضور النقد ضمن إطار الخبر يمكن أن يفتح باب الولوج إلى أحكام موضوعية ومواقف خاصة وعامة، وقراءات متباينة ؛ بوصفه – أي النقد - إجراء يقوم بنقل الأحكام داخل حدود المعرفة، وفتح المسافة بين الكاتب والقارئ. فالنقد والخبر يتداخلان في أهم مكونات الأدبية ؛ وهي تلك الثيمات التي تمثل النبض السردي للخبر. وهكذا أضحى قارئ أخبار أبي تمام متقبلاً لنصوص تحّول فيها الميثاق من نظام الأخبار إلى نظام آخر يتجلّى في النقد ؛ ولكنه بدرجات مختلفة، فالصولي طرح هذه المبادئ النقدية وجعلها مرتبطة بمقام التلفظ، ووظفها لخدمة الخبر وإبراز غاياته المنهجية نحو الإعلاء من شأن أدبية الخبر. يقول الصولي: **" حدثني عبدالله ابن المعتز قال: جاء محمد بن يزيد النحوي، فاحتبسته، فأقام عندي، فجرى ذكر أبي تمام، فلم يوفّه حقه، وكان في المجلس رجل من الكتاب، نعماني، ما رأيت أحداّ أحفظ لشعر أبي تمام منه. فقال له يا أبا العباس: ضع في نفسك من شئت من الشعراء، ثم انظر أيحسن أن يقول ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه[من الطويل]:**

شهدت لقد أقوت مغانيكُمُ بعدي ومحّت كما محّت وشائِعٌ من بُردِ

وأنْجدتُم مِنْ بـعدِ إتْهـامِ دارِكُم فيا دمعُ أنْجِدِي على سَاكِنِي نَجْدِ

فقال أبو العباس محمد بن يزيد ما سمعت أحسن من هذا قط. ما يهضم هذا الرجل حقه إلا أحد رجلين: إمّا جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام، وإمّا عالم لم يتبحّر

---

(١) عبود(حنّا)، النظرية الأدبية والنقد الأسطوري، د. ط، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، د.م، ١٩٩٩م، ص ٦٦.

شعره ولم يسمعه. قال أبو العباس عبدالله ابن المعتز: وما مات إلّا وهو منقل عن جميع ما كان يقوله، مقِرٌّ بفضل أبي تمام وإحسانه.[١]. على هذا النحو يتجلّى لنا أن النقد أصبح محدداً جوهرياً لمقروئية الخبر؛ فإن كان الخبر غاية في كتاب الصولي وحركة الكتابة والتأليف؛ فإنه يكفُ هاهنا عن أن يصبح هدفاً، وإنما هو صدى للنقد، يأخذ من خصوصيته ويضطلع بوظيفته بما هو عمل قولي مخصوص، بل إنه يتعلق بالهدف التواصلي الذي يرمي إليه القول بوصفه نصاً تواصلياً[٢]. وهكذا جاء الخبر مستحضراً العلاقات النقدية التي استقرت في أذهان النقاد القدامى، فالحكم بالجودة أو الرداءة ومعرفة الكلام وقضايا المفاضلة بين الأشعار كلها من أحكام النقد القديم، وعليه فإن الخبر يستحضر النقد ويستعين به في بنيته السردية، ولعل هذا الجانب من شأنه أن يغني الخبر ويجعله بناءً نصياً متماسكاً، ويمكننا من صوغ النص وفق قواعد محددة وثابتة[٣]. فلا غرابة والحالة هذه أن يكون الخبر ميداناً واسعاً للنقد، وأن يغدو أداة للفوز بالحظوة لدى القراء، ولعل هذا يعد دليلاً على تحول مهم في منظومة الأدب العربي في القرن الرابع الهجري، وعلى توغل الخبر في حيز الأدب واحتوائه على القضية الأكبر عند العرب وهي النقد، وهكذا صار النقد مركز الرحى في أخبار أبي تمام، والخبر أصبح تابعاً له ومستخدماً له في عرض بعض أغراضه وآرائه.

---

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١١٩.

(٢) ينظر: ميشبال (محمد)، عن مفهوم البلاغة(دراسة في العلاقة بين الأدب والبلاغة)،مجلة ثقافات، العدد ١٩ -٢٠، ٢٠٠٧م، ص ١٣.

(٣) ينظر: بحيري(سعيد)، علم النص، المفاهيم والاتجاهات، ط١، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية للنشر، ١٩٩٧م، ص ص ١٣٣، ١٣٤.

ويمكن أن يكون النقد حاضراً في المدونة المدروسة في سياق يكون فيه أبو تمام نفسه ناقداً عالماً بالشعر؛ ممّا يجعل النقد هنا عاملاً من عوامل بقاء الخبر وصموده إزاء دواعي النسيان والاندثار؛ فهو متعلق بأبي تمام الشاعر من جهة، ومتعلق بالخطاب النقدي وتمييز جيد الكلام من رديئه من جهة أخرى. يقول الصولي: **"حدثني به علي بن إسماعيل قال: حدثني علي ابن العباس الرومي قال: حدثني مثقال، قال: دخلت على أبي تمام وقد عمل شعراً لم أسمع أحسن منه، وفي الأبيات بيتٌ واحدٌ ليس كسائرها، وعلم أني قد وقفت على البيت، فقلت له: لو أسقطت هذا البيت، فضحك وقال لي: أتراك أعلم بهذا منّي؟ إنما مثل هذا مثل رجل له بنون جماعة كلهم أديب جميل متقدم، وفيهم واحد قبيح متخلف، فهو يعرف أمره ويرى مكانه، ولا يشتهي أن يموت؛ ولهذه العلة وقع مثل أشعار الناس"**[(١)].

إن هذا الخبر له باب من النقد جلي، فأبو تمام يستوحي تلك النظرات النقدية من حسه النقدي ووعيه الأدبي؛ بل إنه في هذا السياق ينتقل من الجانب الشعري إلى الجانب النقدي، ويختار من الأسس والمعايير النقدية ما يميز به شخصية الشاعر وشخصية الناقد. فأبو تمام الشاعر نجده في مستهل الخبر، عندما عمل شعراً لم يُسمع أحسن منه، وأبو تمام الناقد يتجلى في الحكم والمعرفة والنقد/ أتراك أعلم مني به؟، بل إن حضور الشاعر ناقداً قد بعث على استجلاب الأخبار ورواياتها؛ التماساً للنقد وتمثيلاً للحجة، ولعل هذا الشاهد وما جرى مجراه دليل على إقرار العلماء والنقاد بأن الشعراء على وعي بعيوب الشِّعر[(٢)]. فالنقد إذن لا يخلو تأثيره في بنية الخبر؛ خاصة في

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ٦٩

(٢) ينظر: الواد(حسين)، اللغة الشعر في ديوان أبي تمام، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٨١.

المقامات التي ينشأ فيها هذا الخبر، يقول الصولي: **" حدثني الحسين بن إسحاق، قال: سمعت من ابن القاق يقول: " حضرنا مع أبي تمام وهو ينتخب أشعار المحدثين، فمرّ به شعر محمد بن أبي عيينة المطبوع، الذي يهجو به خالداً، فنظر فيه ورمى به وقال: هذا كله مختار. هذا أدلُّ دليل على علم أبي تمام بالشعر"**[1]. ومن هنا فإن النقد يعتبر شكلاً من أشكال تنظيم المادة الأولية لأخبار أبي تمام، ووجهاً من وجوه التبرير الجمالي للأسباب الداعية إلى حضوره واندراجه طي الأخبار، وقد اعتمد هذا التبرير على درجات إدراك أبي تمام لخصائص اللغة وأسرارها وكلام العرب؛ فهو يقصد ذلك ويتوسل به لإطلاق أحكامه النقدية. وهكذا فإن المكون النقدي في هذه المدونة أخذ مساحة واضحة من الأخبار، وقد كان الباعث على ذلك - في نظرنا - فرط الإعجاب بالشاعر، ومحاولة تبرئته ممّا عِيبَ به، ودحض تلك المزاعم المتواترة التي يدّعي أصحابها أن أبا تمام قد تجاوز الحد وأسرف في استعمال غريب اللغة، وخرج عن عمود الشعر.

١ -٣ -المكون السردي:

إذا كان الاتجاه الغالب على أدب الأخبار عموماً في تقديم أحداثها وشخصياتها ورواتها وأحوالهم هو السرد؛ فإنه في أخبار أبي تمام يتنزل في إطار مخصوص؛ إذ لا يكمن في المنزلة التي تحظى بها أخباره تلك، وإنما أيضاً يكمن في مسار الحبكة وانتظامها، بالرغم من اقتضابها وتكثيفها؛ فثمة تقنيات يمكن أن تمثل حركة سردية، كالتأزم والانفراج. ولعل أهم ما يلفت الانتباه في وضعية السرد في هذه المدونة، ثنائية مهمة في بناء نصوص الأخبار، وفي تقبل القرّاء لها، هي ثنائية الشفوي والمكتوب،

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ٧١.

فهل نقرأ أخبار أبي تمام على أنها نصٌ مكتوب؟ أم أنها نصٌ شفوي خاضع لمقتضيات مقام المشافهة؟. وهذا السؤال يدفعنا إلى أن نتعامل مع تلك الأخبار على أنها سرد محضٌ تتجلّى ضمنه جميع أعوان السرد. وهكذا فإن أخبار أبي تمام يمكن أن تكون سرداً يفتح أبواب التجريب، بما هي فعل إبداعي مفتوح؛ وممّا يؤكد ذلك، أنها تُفتتح بعبارات دالة على فعل السرد من قبيل: حدثنا/ أخبرنا/ سمعت/ قال لي. وهي عبارات مشحونة بطاقات سردية. يقول الصولي في خبر أبي تمام مع الأعرابي الذي لقيه في سُرَّى من رأى: **" حدثني عبدالله ابن المعتز، قال: حدثني أبو سعيد النحوي المعروف بصَعُداء عن أبي تمام الطائي قال: خرجت يوماً إلى سُرَّى من رأى، حين ولي الواثق؛ فلقيني أعرابي، وقد قربت منها، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار الناس بها؛ فخاطبته، فإذا هو أفصح الناس وأفطنهم، فقلت: ممّن الرجل؟ قال: من بني عامر، قلت: كيف علمك بأمير المؤمنين، قال: قتل أرضاً علمها، قلت: فما تقول فيه؟ قال: وثق بالله فكافاه، وأشجى العاصية، وقمع العادية، وعدل في الرعية وأرهب كل ذي قلم خيانته(...) قلت: فما تقول في الفضل بن مروان؟ واستعذبت خطابه. قال: ذاك رجل نُشر بعدما قُبر، فعليه حياة الأحياء وخفته الموتى(...) قلت: فكيف رضاك عن أهل العسكر؟ قال لا أُخلق وجهي بمسألتهم. أوما سمعت قول هذا الفتى الطائي الذي قد ملأ الدنيا شعره.[من البسيط]:**

وما أُبَالي وخيرُ القَولِ أَصْدَقهُ حَقَنتَ لي مَاءَ وجْهِي أو حَقَنت دمِي

قلت: فأنا والله الطائي قائل هذا الشعر(...) قال: أنت والله أشعر أهل الزمان[1].

وهكذا تتجلى مقومات الخطاب السردي في هذا الخبر، الذي يمتد إلى أربع صفحات،

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ص، ٥٧، ٥٨، ٥٩.

وهو حوار دائر بين أبي تمام، وذاك الأعرابي الذي أقر بشاعريته وجعله أشعر أهل زمانه. ولنا أن نعتبر الحوار وجهاً من وجوه المكون السردي الذي ينقل لنا وقائع وأحداثاً ماضية؛ جعلت من الخبر عالماً ممكنا، وممثلاً للواقع، ومندرجاً ضمن دائرة السردية الطبيعية كما يرى أمبيرتو إيكو[1]. وبذلك يكون السرد نمطاً ينطلق منه الخبر، ومكوناً أساساً من مكونات بنائه، بل إنه سمة فنية ومادة جمالية تمنح الخبر هويته الأدبية.

إن السرد مسلك ينزع إليه الصولي تحقيقاً لدوافع ذاتية وثقافية، وإنّ ذلك يستوجب وضع الخبر في مقامه؛ بغية الإحاطة بملابسات التواصل والإخبار، التي تتدخل بجانب كبير في صناعة النص، وهكذا يغدو المكون السردي -تبعاً لذلك- حصيلة تفاعل ودوافع، وخلفيات تنعكس على سطح الخبر، إن قليلاً أو كثيراً. يقول الصولي: **" حدثنا عون بن محمد الكندي، قال: حدثني محمد بن سعد أبو عبدالله الرّقيّ، وكان يكتب للحسن بن رجاء، قال: قدّم أبو تمام مدحاً للحسن بن رجاء، فرأيت رجلاً علمه وعقله فوق شعره. واستنشده الحسن بن رجاء، ونحن في مجلس شرب، فأنشده(...) فلما قال[من الكامل]:**

عَادتْ لهُ أَيّامُه مُسْودّةً حَتّـَى تَوهْمَ أَنَّهُـــنَّ ليـــــالي.

قال له الحسن : والله لا تسودّ عليك بعد اليوم، فلما قال:

لا تُنْكِرِي عَطَل الكَرِيمِ منْ الغِنَي فَالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكَانِ العَالِي

وتَنظّري خَبَبَ الرِّكَابِ ينُصّها مُحْيِي القَرِيضِ إلى مُمِيت المالِ

---

(١) ينظر: إيكو(أمبيرتو)، ست غابات في السرد، ترجمة: سعيد بنكراد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٩١.

فقام الحسن بن رجاء فقال: والله لأتممتها إلّا وأنا قائم، فقام أبو تمام لقيامه(...) فتعانقا، وجلسا، فقال له الحسن: ما أحسن ما جُليت هذه العروس. فقال: والله لو كانت من الحور العين، لكان قيامك أوفى مهورها"[(١)]. وكيفما كان الحال؛ فإن أخبار الصولي هذه عن أبي تمام تتميز بميزتين هما: التخصيص، ونعني به توجيه الأخبار نحو نسق فكري محدد هو السرد. والتقييد، والمراد به جعل السرد مرتبطاً بشخصية بعينها، وبإنتاجه الأدبي والفكري، ويتعلق الأمر هنا بأبي تمام. إن هاتين الميزتين المتمثلتين في الانتقال بالأخبار من عموم الدلالة إلى خصوصها، ومن تعدد الشخصيات إلى تفردها، من شأنهما أن تسهما في الكشف عن الهوية الأدبية لمدونة الصولي في أخباره عن أبي تمام، وإبراز ما تنفرد به من خصائص أو تضطلع به من وظائف. يعني هذا أن الخبر " ليس معنى لغوياً وبلاغياً فقط؛ بل هو تصور معين لنسق من العناصر السردية، تميز بينه وبين القصة"[(٢)]. وبهذا ينفلت الخبر من خلال المكون السردي من معناه الضيق من حيث كونه شكلاً من أشكال الكتابة وأسلوباً بلاغياً ليقترب من الأجناس السردية التي يمكن تأطريها وتحديدها. يقول الصولي: **"حدثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الرازي، قال: حدثني محمد بن إسحاق الخُتّليّ، وكان يتوكل لعبد الله بن طاهر، قال: لما قدم أبو تمام على عبدالله بن طاهر، أمر له بشيء لم يرضه، ففرّقه، فغضب عليه لاستقلاله ما أعطاه، وتفريقه إياه، فشكا أبو تمام ذلك على أبي العميثل شاعر آل طاهر، وأخص بهم، فدخل على عبدالله بن طاهر، فقال له: أيها الأمير. أتغضب**

---

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ص٩٩، ١٠٠.

(٢) السلمي(جعفر بن الحاج)، المصطلح النقدي في أخبار العباس السبتي لابن الزيات، مجلة المنهل، عدد٣٩، مجلد ١٦، وزارة الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م، ص ١٩٩.

على من حمل إليك أمله من العراق، وكدّ فيك جسمه وفكره، ومن يقول فيك[من البسيط]:

يَقُولُ فِي قوامِيسِ صَحْبِي وقدْ أَخَذَتْ مِنّا السُّرى وخُطَى المَهْرِيَّةِ القُودِ
أمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَنْوِي أنْ تُـؤَمَّ بِنا فَقُلتُ: كَلاّ ولكِنْ مَطْــلِعَ الجودِ

قال: فدعا به ونادمه يومه ذلك، وخلع عليه ووهب له ألف دينار وخاتماً كان في يده له قدر"[(١)].

إن السرد في هذه الأخبار قد تجلّى في طريقة تعامل الصولي مع الخبر نفسه؛ إذ يطرح على القارئ قضايا تتصل بأبي تمام في علاقته بمجتمعه، وهكذا يرسم الصولي أخباره على الحسن الذي يشكل في الذهن تصوراً لحياة أبي تمام وعلاقاته، وإدراك هذا البعد الذي يُكسبُ الخبر سمة سردية، هو الذي يجعلنا نفهم أكثر أحواله، كما أنه – أي السرد - يحفظ الخبر من العبث القرائي ويحدد مساره.

إنّ المكون السردي في نظرنا يطلق العنان للمؤلف والمؤول لصياغة الخبر وقراءته بوصفه نصاً، وفق ضوابط تفرض مراعاة عددٍ من المعطيات، كالمقاصد والسياق والجنس الأدبي[(٢)]. ويبدو أن الصولي في أخبار أبي تمام من أكثر الإخباريين – في نظرنا - من أكثر الإخباريين حرصاً على تنويع الأخبار؛ حتى كاد السرد يحجب الموضوع الرئيسي الذي عقد له الخبر؛ فهو لم يبق حبيس الدائرة النقدية والأدبية لأخبار أبي تمام وأنصاره وخصومه، وإنما جاءت القوة السردية في هذه المدونة كاشفة

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ص١٢٣، ١٢٤
(٢) مفتاح (محمد)، مجهول البيان، ط١، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٩٠م، ص ١١٢.

عن تلبس الخطاب بالإقناع والمنطق ؛ ليغدو الخبر بعد ذلك تفاعلاً خطابياً بين المتلقين في القراءات المتعددة.

إنّ السرد في أخبار أبي تمام يؤرخ لما أنجزته الكتابة الأدبية والتدوين، والنظرة المحايثة لحركة السردية العربية ؛ فالسرد نمط ينقل أحداث الخبر، وفعل الكتابة ووضعية الكلام يهدفان إلى دلالة إحالية لغوية همُّها الأكبر دوران السرد على الإخبار والإفهام. وهكذا فإن المكون السردي في هذه المدونة – وإن كان عبارة عن بنى بسيطة - يمكن أن يندرج ضمن أصناف من التخاطب لا تكاد تُحصى نأت بأخبارها عن نمطية في البناء والصياغة. يقول الصولي : **" حدثنا أبو محمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال: دخل أبو تمام على إسحاق بن إبراهيم، فأنشده مدحاً له، وجاء إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى إسحاق مسلماً عليه، فلمّا استُؤذن له، قال أبو تمام: حاجتي أيها الأمير أن تأمر إسحاق أن يستمع بعض قصائدي فيك، فلمّا دخل قال له ذلك، فجلس وأنشده عدة قصائد، فأقبل إسحاق على أبي تمام، فقال: أنت شاعر مجيد محسن كثير الاتكاء على نفسك، يريد أنه يُعمل المعاني. وكان إسحاق شديد العصبية للأوائل كثير الاتباع لهم"**[(١)]. إنّ هذه السرود المندرجة طي الأخبار يسعى بها الصولي إلى تحقيق مقاصد من شأنها الاضطلاع بوظائف مشتركة، كالإقناع والتأثير؛ بفضل ما تزخر به من أدوات وآليات حجاجية، كالتكثيف والتفصيل والترميز، وهي إلى جانب ذلك محكومة بنوع من النسقية ؛ فقد يدفع مساق القول السردي إلى الرفع من منزلة أبي تمام. وذاك أنّ حكم إسحاق على أبي تمام بأنه شاعر محسن، دليل واضح على ذلك، ويزيد من ذلك تدخل الصولي في نهاية الخبر وحضوره متكلماً داخل الحكاية من خلال قوله :(وكان

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١٢٨.

إسحاق شديد العصبية للأوائل كثير الاتباع لهم)، دليل آخر على رغبته الملحة في الانتصار لأبي تمام. فقد فتح هذا الخبر المجال أمام الصولي، ليعطي للمتلقي درساً في فهم الشعر، وطرائق الحكم على الشعراء، وتمييز جدي الأشعار من رديئها[1].

إن المكون السردي لهذه الأخبار انتهى بالصولي إلى الوقوف على شاعرية أبي تمام؛ فأخباره تتفق في مضامينها على ذلك، ولا خلاف قائمٌ بينها ؛ فالصولي عندما يتوسع في السرد نجده يربط بنيته الحكائية بشخصيات واقعية من قبيل: إسحاق الموصلي، والحسن بن رجاء، وعبدالله بن طاهر، وغيرهم كثر)، ويسرد أخبار أبي تمام معهم بنمطية المألوف والواقعي، وينطلق من عبارات الأداء الأكيدة: (حدث/ أخبر/ قال لي). وهكذا فإن المكون السردي في أخبار أبي تمام اتخذه الصولي بوصفه رهاناً مرجعياً يلقي بظلاله على الحقائق؛ بل إنه صار مولداً مرتبطاً مع الذات الكاتبة/ الصولي والمرجع/ أخبار أبي تمام، وطاقة للإيحاء بمنزلة أبي تمام الشاعر. والذي نخلص إليه أن السرد في مدونة الصولي هذه يمكن اعتباره ممارسة نصيّة لإبراز قدرة الراوي على اختراق ثقافة أدبية ونقدية موسوعية؛ فهو دون شك مشروع واقعي للكتابة الأدبية عن الصولي.

٢ -الخبر وسلطة المؤلف:

نذهب إلى أن الخطاب السردي أو العادي يمكن أن ينهض –خلافا للشعر - بمهمة التعبير عن الواقع؛ لأنه ينطلق من مراجع واقعية أو حقيقية، يذكرها المؤلف على النحو الذي تشير به الألفاظ إلى مسمياتها في الوجود. هكذا فإن أخبار أبي تمام

(١) ينظر: صمود(حمادي)، بلاغة الانتصار في النقد العربي القديم،" رسالة أبي بكر الصولي إلى مزاحم بن فاتك أنموذجاً"، ص ٦٤.

للصولي - في نظرنا - مسكونة بالرغبة في أن تكون شفّافة على المرجع الذي يذكره ؛ فالصولي يسمي الأشياء بمسمياتها ويخبر عنها ويصفها ، ويستخدم لغة بمقدوره من خلالها الاهتداء إلى علاقات ممكنة بين الأشياء والقضايا التي يطرحها في كتابه. فكتابة الأخبار صارت بعداً ثقافياً بعدما صار النص نفسه يحمل خليطاً من الأنساق الثقافية ؛ خاصة إذا ما علمنا أنه تأسس على إعادة إنتاج الفعل الواقعي بصورة جديدة[١]. ومن هنا فإن المؤلف في كتاب أخبار أبي تمام - وإن كان يروي أخباراً حقيقية ينقل من خلالها تجربة الذات وتجربة الآخر - ينتج أقوالاً لا يمكن أن تختفي فيها صورة الذات التاريخية أو الأنا الأولى، اختفاءً كلياً. فهل وضعية الخبر أصبحت مندرجة في خطاب أدبي مخصوص، يكشف علاقة المؤلف بنصه اتصالاً أو انفصالاً؟ وأين تتجلّى مضامين العقد الكتابي والقرائي في أخبار أبي تمام؟ وكيف نتعامل مع وضعيات التلفظ في هذه الأخبار؟ هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها من خلال النظر في الخبر ومشكل القراءة، والخبر خطاباً حجاجياً.

٢ -١ - الخبر ومشكل القراءة :

إذا كان عمل الصولي هذا يُقاس بمدى التزامه أو خروجه عن سنن الكتابة الأدبية التي استقرت في النقد العربي القديم، وخرقه أو ضبطه لقوانينها الصارمة ؛ فإن فعل القراءة لا يمكن له أن ينفلت عن هذه السنن أو تلك الضوابط. فالصولي في أخبار أبي تمام قد أدرك كثيراً من طرائق الكتابة التي تندرج ضمن الأثر المقروء/ أي الأخبار، وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه بالسنة الأدبية[٢].

---

(١) ينظر: جابر(سعيد)، من السردية إلى التخييلية(بحث في الأنساق الدلالية في السرد العربي)، ط١ ، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، الجزائر، ٢٠١٣م، ص ١٠٧.

(٢) ينظر: الوغلاني(خالد)، جنس المقامة وقضايا القراءة، أو نحو قراءة جديدة لمقامات =

إنّ هذا الوضع الذي نراه في أخبار أبي تمام هو الذي يسمح لنا بأن نرى أن للخبر وظيفة جديدة غير التمثيل والإقناع أو حتى النقد، إنها التعبير عن الحقائق بوصفها أصلاً من أصول المعرفة، وكشف الحقائق، يصوغها ويؤسسها وينقلها، ويقارب الحقائق التي يراها كذلك؛ لأن " الخبر ممكن الوقوع إذا كان مداره على الأحداث، وممكن القول إذا كان مدراه على الأحاديث"(١). وإذا كان الإسناد في الخبر يمثل مقوماً من مقومات الخطاب الأساسية، ويمثل سنة متحكمة في السرد العربي القديم، فإن هذا لا يغير كثيراً من فعل القراءة ومشكل الكتابة، وإنما يمكن اعتباره جزءاً من الخطة السردية يضطلع بوظيفتين: الأولى، إقناعية تحدد مقروئية الخبر، والأخرى، أدبية سردية تحدد جمالية الخبر، وهذه الوظيفة الثانية يمكن أن تصبح قناعاً يخفي أموراً لا يفصح عنها الخبر. يقول الصولي: **" حدثني أبو العباس بن عبد الرحيم الألوسي، قال: حدثني جماعة من أهل معرّة النعمان، قال: ورد علينا كتاب أبي تمام للبحتري، يصل كتابي على يدي الوليد بن عبادة، وهو على بذاذته شاعر فأكرموه"(٢)**. فمصدر الخبر هو أبو العباس الألوسي، والصولي ناقل للشاهد؛ غير أن الإسناد يختل مع الألوسي، فهو عن جماعة يرى أنهم من معرة النعمان، وهنا يتجلّى لنا الجانب الإقناعي في تلك الصيغة التقليدية(حدثنا)، وذكر الشخصيات. على حين أن الجانب

=

الهمذاني، مجلة مقاباسات، مجلد ٥، جامعة تونس، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، ٢٠١٤م، ص ٣١

(١) القاضي(محمد)، الخبر في الأدب العربي، ص ٣١٠.

(٢) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ٤٤

الأدبي يتجلّى من خلال إطار الرواية وملابساتها؛ ففي قوله:" ورد علينا كتاب أبي تمام" دليل على أهمية الخبر، وثقل إسناده الذي يحدد مقروئيته.

ولئن كان الصولي ميالاً إلى ضبط أسانيده ومراتب التحمل، وانتقاء عبارات الآداء الموافقة لها، فإن بعض الحالات الاستثنائية تظل بمنزلة البؤرة التي تجعلنا نطالع تمرده وسطوته على الامتثال للسنة المحكمة وحقيقة الخروج على التقاليد الصارمة في صوغ الأخبار. يقول الصولي: **" حدثني أحمد بن إسماعيل، قال: حدثني عبدالله بن الحسن، ولست أدري من عبدالله هذا، قال: سمعت أبا تمام ينشد أحمد بن المعتصم في علة اعتلها[من المنسرح]:**

أقَلْقَ جُفنٌ العينينِ غُمُضِه وشدَّ هذا الحَشَا على مَضَضِهْ"[1]

إنّ اعتناء الصولي بالسند وإظهار تفاصيله، ثم سكوته عن آخر شخصية فيه، وهو عبد الله بن الحسن الذي لا يدري من هو، يعزز من أدبية الخبر وينشئ له قارئه متشوقاً إلى معرفة الحقيقة. وهكذا يوقفنا السند في الخبر على مفارقة تدل على إتقان الرواية والكتابة لا على الارتجال، ولعل هذا يتجلّى أكثر في سماعه أبي تمام وهو ينشد أحمد بن المعتصم في تلك العلة التي اعتلّها. إنّ هذا الخبر وما جرى مجراه لا يسلم من أمرين: الأول أن يكون الخبر من كتابة الراوي الثاني في السلسلة من السند، وهو أحمد بن إسماعيل، وهذا فيه جانب آخر من أدبية الأخبار، وهو خروج السند عن السنة وعدوله عنها؛ لأنه لم يؤكد على مرتبة التحمّل. أمّا الثاني فيكون السند أكيداً، وهذا يقتضي أن يكون الخبر من إنشاء الصولي، وهذا وجه من وجوه أدبية أخبار الصولي عن أبي تمام، ودلالة على حركيتها وخصوصية نشأتها وتقبلها.

---

(١) السابق، ص ١٣٤.

وهكذا فإن أخبار أبي تمام انفتحت على الأدب انفتاحاً واضحاً، وهي – في نظرنا - أخبار تتضمن عادة مواثيق وعقوداً أدبية تتحدد من خلال فعل القراءة، وتتجلّى فيها الأطراف التّخاطبيّة ومقاماتها وأوضاعها. وقد يساعد الميثاق الأدبي القارئ صراحة أو تلميحاً على أن يتعرّف إلى هوية من يسرد أو يكتب[١]. إن هذا كفيل وحده لأن يوجه القارئ وجهة مخصوصة نحو قراءة أخبار أبي تمام قراءة تميل إلى مسلك الاستقراء، وهو مسلك يحدد أجناسية المكتوب؛ بوصفها – أي الأجناسية - عاملاً بنائياً يسهم في تأليف النص وينشأ لحظة الكتابة التي لا تخلو من تحوير وتغيير[٢]. يقول الصولي: **"حدثنا جماعة من ابن الدقاق، قال: قرأنا على أبي تمام أرجوزة أبي نواس التي مدح بها الفضل بن الربيع: وبلدة فيها زور ، فاستحسنها، وقال: سأروض نفسي في عمل نحوها، فجعل يخرج إلى الجنينة، ويشتغل بما يعمله، ويجلس على ماء جارٍ، ثم ينصرف بالعشيِّ، فعمل ذلك ثلاثة أيام، ثم خرّق ما عمل وقال: لم أرضَ ما جاءني"**[٣]. ومن هنا يتضح لنا أن هاجس الإسناد لا يمكن اعتباره معياراً لمقروئية مدونة الصولي، وإنما يساعدنا في درس العلاقات بين الأخبار من حيث ترابطها ودلالاتها الاجتماعية، ومن حيث سماتها الفنية وبناها النصية. فالخبر "يقوم على ميثاق ضمني بين الراوي والسامع أو القارئ يشد القول إلى مرجع واقعي، وينأى به

(١) ينظر: السعداوي(سلوى)، قراءات في نصوص سردية، ط١، مركز النشر الجامعي، منوبة، ٢٠١٥م، ١٦٩.

(٢) ينظر: الوعلاني(خالد) جنس المقامة وقضايا القراءة، ص ٣٤.

(٣) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ٣٧.

أن يُتهم بالاختلاف وابتداع ما يتنافى والواقع"[(١)]، ولذلك تواترت الأفعال الدالة على أخذ الخبر من ذوات وأسانيد مكتملة مأخذ صدق وثقة، ويسهل على القارئ بعد ذلك الانقياد والإذعان إلى التصديق؛ خاصة وأن المؤلف/ الصولي نفسه معروف بين أهل زمانه، بأنّه قد خاض تجربة الكتابة الأدبية. وهكذا فإن هذه المعطيات من خارج النص تدل على صلة المؤلف بنصه وصلتها بالقارئ من حيث تحويلها إلى مجال الأدب والتوثيق.

ويمكن أن نجد تضخماً في الأسانيد التي يرويها الصولي؛ بحيث يتجاوز ثلاث حلقات وأكثر، وهكذا تحصل الفائدة في قراءة الأخبار، وتكسر الحدود المفتعلة بين النصوص أي الذاتية، وهنا يتجلّى لنا أن الإسناد أصبح بمثابة الاستطراد على الخبر؛ لأنه أضاف على سيرورة الخبر سيرورة الرواية. يقول الصولي: **" حدثني أحمد بن يزيد المهلبي، قال: حدثني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، قال حدثنا العطاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق، وكان فيمن تولى قتل الوليد بن يزيد، قال: إني لفي مجلس يزيد بن الوليد الناقص إذ حدثه رجل فكذّبه، فعلم يزيد أنه قد كذّبه، فقال: ياهذا إنك تكّذب نفسك قبل أن تكذّب جليسك. قال: فما زلنا نعرف الرجل بعد ذلك إلّا بالتوقي"[(٢)]**. إن حضور الإسناد يتطلب قراءة وفق مقام الرواية الذي نراه من خلال اهتمام الراوي الأول أحمد بن يزيد المهلبي بتفصيل القول في مقام روايته في هذا الخبر لمروي له هو أبو الفضل أحمد، وهكذا يتضخم السند ليصبح قصة.

---

(١) القاضي(محمد)، الخبر في الأدب العربي، ص ٦٠٠.

(٢) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١٤٤.

ومن هنا فإننا إذا اعتبرنا أن للإسناد قيمة إنجازية بوصفه وجهاً من وجوه قراءة الأخبار، فإنها ليست في المضمون الصريح أو المعنى الحرفي، بل في التلفظ به في سياق مخصوص، ومقصد محدد يمكن أن يكون" إدخال القارئ ضمن عالم اعتقادات المتكلم"[١]. وهكذا تحققت وظائف الإخبار والإقناع في آن؛ فالخبر الذي نراه لن يجد طريقه إلى وعي القارئ وإدراكه والتأثير فيه ما لم يقترن بسلسلة الإسناد؛ لذا فإن الهوية الأدبية للخبر في نظرنا وصناعة الخبر تداولياً قد تفوقان سلطة المتكلم الظاهر، أي سلطة المؤلف الحقيقي/ الصولي في الواقع المرجعي.

يمكن القول إذن إن الصولي في أخبار أبي تمام يحرص كل الحرص على هذا النوع من صور الإسناد؛ متوخياً إبراز الصلات الكائنة ومضمون الخبر والمضامين الواردة في أخبار أخرى. يقول الصولي: **" حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو تمام، قال: حدثني أبو عبدالرحمن الأموي، قال: وصف ابن لسان الحمّرة، وهو ربيعة بن حصن من بني تيم اللات بن ثعلبة قوماً بالعييّ فقال: منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل لسانه، ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه، ومنهم من يقتشر الآذان، فيحملها إلى الأذهان عبئاً ثقيلاً"**[٢]. إنّ الحس الإسنادي يظهر بصورة جلية في البناء النصي للخبر؛ إذ يشكل تقنية بنائية تفاعلية ترتبط بالمقصدية القرائية، بل إنّ الإسناد في أخبار الصولي يعتبر عاملاً مهماً وبؤرة اتساقية لقراءة تلك الأخبار وفهمها، وهو يعيدنا إلى قضية أن النص تكوينٌ حتميٌ

(١) ينظر: المبخوت(شكري)، نظرية الحجاج في اللغة، ط١، سلسلة أدب، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.م، ص ٣٥٢.

(٢) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١٤٥

يحدد بعضه بعضا[١]. فهل كان من الممكن أن نتصور أسانيد الصولي قائمة على ضبط وإتقان، وهي التي يقوم بعضها على مسار حدثي وفعل قرائي مختزل تتالى الأحداث فيه باستمرار على خط يراوح بين الحاضر والماضي ولا يقطعه إلّا بداية خبر جديد؟.

وهكذا يمكن اعتبار هذه الأخبار نفسها نقاط عبور ضرورية وثوابت سردية تؤثر في القارئ، وتحمله على انتهاج نهج مخصوص في القراءة والتأويل. يقول الصولي: " **حدثنا أحمد قال: حدثنا أبو تمام عن سلامة بن جابر قال: سأل هشام أسد بن عبد الله القشيري عن نصر بن سيّار، وكان عدوَّه، فقال: ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا يضرب طبقة إلاّ انتصف منها. لا يأتي أمراً يعتذر فيه. قسّم أخلاقه بين أيام الفضل، فجعل لكل خُلُق نوبة، لا يدري أي أحواله أحسن ما هداه إليه عقله أو ما كسبه إياه أدبه. فقال هشام: لقد مدحته على سوء رأيك فيه**"[٢]. إنّ هذا الخبر الذي يكون أبو تمام طرفاً في إسناده وفي نقله، يؤكد أن الفعل القرائي قائم بين حلقات الإسناد على نحو من أركان الاسترسال السردي من راوٍ إلى مروي له، وهي الأسس التي ينهض عليها مبدأ الشفوية والأسناد. بالإضافة إلى التدوين الذي سجّل ما كان متداولاً شفاهة[٣]، وهكذا صار الاسترسال السردي عوناً على القراءة؛ خاصة إذا ما علمنا أن الإسناد لم يعد كافياً وحده لإنضاج مقروئية الخبر؛ فالأخبار في هذه المدونة لم تنحصر في الإسناد في قضية القراءة والتلقي وقضايا المرجع. ولعل في ذلك إيماءً خفياً أو ظاهراً إلى أن القارئ أصبح مدركاً أن الخبر محتضنٌ للسرد ومنطوٍ عليه، وهنا يبدو

(١) ينظر: بحيري(سعيد)، علم النص، المفاهيم والاتجاهات، ص ١٠٨.

(٢) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١٤٧.

(٣) ينظر: إبراهيم(عبدالله)، السردية العربية، بنية الموروث الحكائي، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٣.

أن ثمة إشارة إلى أن الصولي أخضع أخباره إلى اعتبارات متعددة منها الجمالي ومنها المنطقي، ومنها الثقافي، وفي ذلك إشارة أيضاً إلى مواصفات الأخبار كما يراها الصولي، وحرصه على أن تخرج في صورة مقبولة، بصرف النظر عن مدى مطابقتها للواقع.

وهكذا تؤسس أخبار أبي تمام لمجموعة من السرود الأدبية التي أحاطت بهذا الملفوظ الشفوي وأسهمت في تشكيل بنيته النصية انطلاقاً من دواعي التأليف وميلاد الأخبار عن الصولي. وبناء على ذلك تحولت هذه الأخبار عبر صياغة فنية إلى أخبار أبي تمام، التي تتجانس عن طريق الصور الإدراكية لدى الكاتب بالصور الإدراكية لدى القارئ، وذلك ضمن سياق واقعي وفعلي أو مشاكل للواقع. ولعل هذا ينقلنا إلى وظيفة للأدب مخصوصة، هي إثارة ردود أفعال تداولية تجعل الخطاب يتجاوز كونه خبراً تواصلياً يستهدف معنى محدداً إلى متواليات نصيِّة مصطبغة بأسلوب خاص يوجه القراء وجهة خاصة[1]. وإذا كان الخبر في أصله ملفوظاً شفوياً، اكتسب خاصيته التداولية مع مرور الزمن وتناقله عبر رواة مختلفين زماناً ومكاناً؛ فإنه في الأصل ملفوظ هيمنت عليه آثار التلفظ التي تحيل على ذوات المتحدثين، وتحيله إلى خطاب مباشر وتكسبه مقصدية القراءة. يقول الصولي: **"حدثنا أحمد قال: حدثنا كرامة قال: قدم رجل من ولد معدان بن عبيد المغني من عند البرامكة، فقلنا له: كيف تركتهم؟ فقال: تركتهم وقد أنست بهم النعمة حتى كأنها من بعضهم. قال أبو تمام: قال كرامة:**

(١) ينظر: راوينية(حفيظة)، مقاصد المتكلم، وأثر المقام التخاطبي في التلقي وإنتاج الدلالة(قراءة تداولية في رسالة النعمان بن المنذر إلى كسرى)، مجلة التراث العربي، عدد١٦، كانون الأول ٢٠٠٩م، ص ١٠٦.

فحدثت بهذا ثعلبة بن الضحاك العاملي، فقال: لقد سمعت من أعرابكم نحواً من هذا. قدم علينا غسّان بن عبدالله بن خيبري في عُنفوان خلافة هشام. فرأى آل خالد القسيري، فقال: إني أرى النعمة قد لصقت بهؤلاء القوم حتى كأنها من ثيابهم. قلت: فإن صاحب هذا الكلام ابن عمٍّ صاحب الحديث فيما أرى. أما ترى كلامه ابن عم كلامه"[(١)]. إنّ هذا الخبر برمّته جاء في معرض التساؤل عن معنى جملتين متطابقتن هما: أنست بهم النعمة؛ حتى كأنها من بعضهم/ إني أرى النعمة قد لصقت بهؤلاء القوم حتى كأنها من ثيابهم. ولذلك مضى الراوي يفصِّل القول في معنى هاتين الجملتين عبر التداول الشفوي، وعلى هذا النحو، فإن الخبر بوصفه ملفوظاً؛ قد اندرج في مجال التداول، ولعل هذه الملاحظة تقودنا إلى أن الخبر احتّل بهذه الصورة مقاماً رفيعاً في سياق الملفوظ الأدبي، واكتسح خطاب التداولية وغزاها.

وهكذا فإن القراءة التداولية توقفنا على دراسة العلاقات بين الرموز والعلاقات والمستعملين لها[(٢)]؛ خاصة إذا ما علمنا أن الخبر ينطلق من التلفظ الذي يُعد من خصوصيات الدرس التداولي، ويمارس دوره في الكشف عن مضامين الخبر كفعل تواصلي. ومن هنا يمكن أن يتحول الخبر من خلال امتداد سلطته على المتلقي إلى لسانٍ ناطقٍ بمعارف العصر، وخطاب لإرساء مقروئيته للتراث السابق له، أو المعاصر له. ومن شأن هذا أن يسمح لنا بالقول بأن سلطة مُؤَلَّف الصولي/ أخبار أبي تمام، خطابٌ مرجعيٌ مقنّعٌ بقناع الخبر، وخبر منفتح على التلقي. ومن ثمّ فإنه يمثل مرحلة مهمة، وتحوّلا أساسيّا في مسار أدب الأخبار، وتطور سمته الأجناسية، وتعددية أصواته

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: دايك(فان)، النص والسياق، ترجمة: عبدالقادر قنيني، ط١، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص ٢١٥.

وخطاباته. ولعل هذا الرأي ينقلنا باستمرار إلى اعتبار الشرط الجمالي في طليعة أخبار أبي تمام ؛ لذا كان من الضروري علينا ونحن نقرأ هذه الأخبار أن ننظر أكثر في وضعية الخطاب، وما ينطوي عليه من مواصفات شكلية، ومحددات مضمونية، وأساليب نثرية مرسلة.

٢ -٢ - الخبر خطاباً حجاجياً:

لئن كنّا قد أقررنا في ما مضى من هذا البحث أن الخبر خطاب سردي، قد توسل من خلاله الإخباري بمختلف الآليات التي يمكن أن نصطلح عليها بالأعوان السردية، من شخصيات وأحداث وحوارات ؛ فإنه - أي الخبر - قد استجاب في الوقت عينه للشروط الأساسية الواجب توفرها في كل خطاب يروم أن يكون خطاباً حجاجياً[١]. وهكذا كانت مقاربتنا في هذا المجال تداولية ؛ انطلاقاً من ربط الخبر بالسياق التواصلي وسائر العناصر التلفظية والمقامية، وقد ركزنا أكثر على مقصدية المؤلف، ووظيفته في الخطاب، ونحن هنا نتوج هذه المقاربة بالنظر في مؤشرا ت الحجاج، ومنطلقات المؤلف في الخبر.

وإذا نظرنا في أخبار أبي تمام التي رواها الصولي في مدونته رأينا أنها تتحرك ضمن مجالات الشعر ونقده، وتتجه رأساً إلى داخل بنية الخبر ودلالته، ثمّ سرعان ما تنفلت إلى خارج الخطاب متجهة نحو مجالات الوظيفة والسياق التواصلي. والملاحظ في هذه الأخبار أن الصولي أوردها بعدما أدرك تماماً واقع أبي تمام الشعري، والحركة النقدية التي دارت حول شعره ؛ حيث يقول: **" وما أحسب شعر أبي تمام مع جودته وإجماع**

(١) ينظر: كحولي(محمد الناصر)، الحجاج في الخبر الأندلسي(حجاجية التخييل وتخييل الحجاج)، ط١، دار محمد علي الحامي، تونس، ٢٠١٦، ص ٣٠

الناس عليه، ينقص بطعن طاعن عليه في زماننا هذا؛ لأني رأيت جماعة من العلماء المتقدمين فيمن قدمت عذرهم في قلة المعرفة بالشعر ونقده وتمييزه. ورأيت أنّ هذا ليس من صناعتهم. وقد طعنوا في أبي تمام في زمانهم وزمانه، ووضعوا عند أنفسهم منه؛ فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك، ورؤساء الكتّاب الذين هم أعلم الناس بالكلام منثوره ومنظومه؛ حتى كان يعطي الشعراء في زمانه ويشفع لهم، وكل محسنٌ، فهو غلام له وتابع أثره"[(١)]. وإذا كان هذا الحكم على شعر أبي تمام من قبل المؤلف رافعاً من شأنه وشعره، فإنه ملفوظ حجاجي يمتدُ عبر سلسلة من أخباره، ويتنزل في سياق تخاطبي مُدْرَكٍ بالبنى النفسية للمتقبل وبخلفيته المعرفية والثقافية، وهكذا يجمع هذا القول سياقين تخاطبيين: الأول منهما يتجلّى في الموقف الذاتي والرأي الانطباعي عند الصولي نفسه، والثاني يتجه نحو تلقي شعر أبي تمام ومقروئيته، فهو سيد الشعراء في زمانه ومحسنٌ لهم وما بعده تابع له، وهنا يتراءى لنا الأسلوب الحجاجي جلياً؛ ورأينا كيف وظف الصولي كلمة(غلام)؛ إذ الغلام يستحضر فضل الأستاذ وصغر المتعلم، وأنه تابع لأستاذه وآخذ منه كل علم وفضيله. ومن هنا تنفتح لنا تساؤلات من قبيل: كيف تعامل الصولي مع أخبار أبي تمام مع هذا التصور المسبق؟ وهل هذه الأخبار ستنتصر لأبي تمام على خصومه؟ أم أنها ستزيد النار اشتعالا؟ وهل الخبر يمكن أن يُقرأ بوصفه خطاباً حجاجياً إقناعياً؟ أم أنه مجرد نقل لشذرات من حياة أبي تمام؟.

لقد أثّر قول المؤلف منذ مستهل الكتاب[(٢)]، في تواتر أخبار أبي تمام، ولعل هذا قد نظم سلسلة حجاجية تقودنا إلى "مفهوم التأليف الحجاجي"[(١)]؛ فقد انطلق الصولي

---

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ١٣

(٢) سبق أن أوردنا قول الصولي الذي يكشف فيه عن سبب تأليفه هذا الكتاب، وسعيه إلى جمع =

من تصور إيجابي عن أبي تمام، ثم أخذ يسرد عبر رواة ثقات، وأسانيد مثبتة؛ بهدف الإقناع بهذا التصور. يقول الصولي: **" حدثني أبو الحسن الكاتب، قال: كان إبراهيم بن الفرج البندنيجي الشاعر يجيئنا كثيراً، وكان أعلم الناس بالشعر. ويجيئنا البحتري، وعلي ابن العباس الرومي، وكانوا إذا ذكروا أبا تمام عظموه، ورفعوا مقداره في الشعر، حتى يقدموه على أكثر الشعراء، وكلٌ يقِرُّبأستاذيته، وأنه منه تعلّم. وقال: هؤلاء أعلم أهل زمانهم بالشعر، وأشعر من بقي"**[(٢)]. إنّ أول ما نشير إليه هي علامات الخطاب المباشر من المؤلف إلى القارئ، وحضور الذات المتكلمة وتوجيه الخطاب إلى القارئ، وإن هذه العلاقة بالتلقي مهمة في اشتغال الآلة الحجاجية، واكتشافها، ومن ثم التفاعل معها؛ فالصولي في هذا الخبر ينبه المتلقي لجودة شعر أبي تمام، منطلقاً في حكمه هذا من أقوال أعلم الناس بالشعر في نظره: إبراهيم ابن الفرج/ البحتري/ علي ابن العباس، وتتواتر عند هؤلاء الثلاثة عبارة التنبيه والدعوة لتمجيد الشاعر، من قبيل: عظموه/ رفعوا مقداره/ حتى يقدموه على أكثر الشعراء، ومن ثم الإقرار بأستاذيته وتقدمه في الشعر. وهكذا فإن الصيغ التعبيرية تحمل قدراً غير قليل من انفعالات الصولي، ولكنها لا تقل قيمة في تحريك القارئ وإذعانه لمصداقية المكتوب.

إنّ هذا القول الذي يتخلل أخبار أبي تمام ينبهنا إلى أن تلك الصيغ التعبيرية الواردة خاصة في تعاليق الشخصيات المندرجة طي السرد، والحاملة لشحنات انفعالية

=

أخبار أبي تمام، وهو موقف ينتصر له على خصومه. انظر تعليقنا أعلاه ص ٣.

(١) ينظر: كحولي(محمد الناصر)، الحجاج في الخبر الأندلسي(حجاجية التخييل وتخييل الحجاج)، ص ١٠٠.

(٢) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ٤٥.

إقناعية، قد تتوسع أحياناً لتشكل معجماً حجاجياً وخطاباً مباشراً. يقول الصولي: " **حدثني أبو الحسن الجرجاني، قال: الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخرسان، وكان هذا من علماء الناس، وكان متصلاً بالظاهرية، ولا أعرف أحداً بعد أبي تمام أتم طبعاً، وهو مستوي الشعر حلو الألفاظ مقبول الكلام، يقع على تقديمه الإجماع، وهو مع ذلك يلوذ بأبي تمام في معانيه. فأي دليل على فضل أبي تمام ورياسته يكون أقوى من هذا؟**"[(١)]. لقد عمد الصولي إلى ضم عبارات تفصح بذاتها - وخاصة عند اقترانها ببنية الخبر - عن نزعة استدلالية صريحة، وأورد كلام أبي سعيد الضرير الذي اعتبره من علماء الناس؛ فهو لا يعرف أتّم طبعاً من أبي تمام، واستواء شعرٍ منه. ثم يستطرد في ذكر الألفاظ ذات المعجم الواحد والسياق المخصوص، وهكذا جاء الخبر عبارة عن ملفوظ حجاجي ذي موضوع أدبي صرف، يحمل قوة تجعل المتكلم يوجهه وجهة حجاجية[(٢)]. إنّ هذا الأسلوب المعتمد يدل على أن الصولي يحول الخبر إلى خطاب حجاجي؛ فهو يدرجه في سياق استدلالي، ويقتطع منه ما شاء بحسب مقتضيات القول، لا بحسب وجوده، لذا فقد امتصّ النص ذلك الخطاب الحجاجي، وجعله جزءاً من بنيته، ولعل ابتلاع الخبر لأساليب الإقناع تلك جعله يخرج من إطار الأدب الشفوي إلى منظومة الحجاج. يقول الصولي أيضاً: " **حدثني أحمد يزيد المهلبي، قال: سألت أبي عن أبي تمام أو قال سمعني أبي وأنا أُلاحي إنساناً في أبي تمام، فقال لي: ماكان أحد من الشعراء بقدر أن يأخذ درهماً واحداً في أيام أبي تمام،**

---

(١) السابق، ص ٤٧.

(٢) ينظر: المبخوت(شكري)،نظرية الحجاج في اللغة (ضمن الكتاب الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، ط١، منشورات كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م، ص ٣٥٢.

فلمّا مات أبو تمام اقتسم الشعراء ما كان يأخذه"[١]. فهذا الخبر يتضمن إشارات حجاجية صريحة أو مباشرة، عرضها المؤلف من خلال حديث المهلبي مع أبيه، وإخباره واستخباره إياه، وهكذا كان هدف الصولي في هذا الخبر الإقناع عبر السياق الحدثي والبناء السردي. ويمكن القول إنّ الصولي لايهتم بصورة أبي تمام شاعراً، ولا الآراء النقدية حول شعره، ولكنه يغالب بعض عناصر الصورة المعروفة عنه، ويلازم التخفي وراء الخبر؛ مبرزاً نفسه تبعاً لذلك، كالناقل في جملة ناقلين أو الراوي في جملة رواة سابقين. ولعل هذا الأسلوب يمكن أن يوجه الخبر وجهة حجاجية. زد على ذلك أنه استطاع دعم الصورة التي يحملها القارئ عن أبي تمام ؛ فهو شاعر مجيد يحصد الأموال من الأمراء والممدوحين، ولا يدع مجالاً لغيره حتى مات. وهنا تتجلّى لنا حجة مضمرة تُقَدّر سياقاً بقوله: (فلما مات أبو تمام اقتسم الشعراء ما كان يأخذه)، وعليه "فإن القيمة الإخبارية لكل ملفوظ لا تكمن في حمولته الإخبارية ؛ إذ يمكن أن تشتمل على مورفيمات وتعابير وصيغ تصلح إلى جانب محتواها الإخباري لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك"[٢].

ويمكن أن تتجّلى مضامين الحجاج في أخبار أبي تمام من خلال حضور المقاطع الحوارية التي تتبادل فيها الشخصيات الكلام إخباراً واستخباراً، أو مجادلة ومحاولة إقناع وتوجيه. يقول الصولي: **" حدثني أبو الحسين علي بن إسماعيل قال: قال لي**

---

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ٦٥

(٢) الغزاوي(أبو بكر)، الحجاج في اللغة، مفهومه ومجالاته، ط١ ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م، ١/ ٥٨.

البحتري: أو ما رأيت أبا تمام مرة ما كنت عرفته قبلها. أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد امتدحته بقصيدتي التي أولها [من الكامل]:

أأفاق صبٌّ من هوى فأُفيقا أو خان عهداً أو أطاع شفيقا

فأنشدته إياها، فلما أتمها سرَّ أبو سعيد بها وقال: أحسن الله إليك يافتى، فقال له رجل في المجلس: هذا أعزك الله شعر لي علقه هذا الفتى فسبقني به إليك، فتغير وجه أبي سعيد، وقال: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمنّ به إلينا ولا تحمل نفسك على هذا. فقلت: هذا شعر لي أعزّك الله. فقال الرجل سبحان الله يا فتى، لا تقل هذا. ثمّ ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتاً، فقال لي أبو سعيد: نحن نبلغ ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا. فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول. ونويت أن أسأل عن الرجل من هو. فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ، ثم قال: جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابن عمّك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه. فقمت إليه فعانقته، ثم أقبل يقرظني ويصف شعري، وقال إنما مزحت معك، فلزمته بعد وكثر عجبي من سرعة حفظه"[1]. إن الحوار الذي نراه في هذا الخبر يبقى حواراً محكياً؛ فالراوي أبو الحسن علي بن إسماعيل من ورائه المؤلف الصولي، وهو الذي عرضه باعتباره عنصراً من حكايته. ولعل ذلك ينقلنا إلى نوعين من الحجاج في أخبار الصولي: الأول، حجاج الصولي نفسه الذي أراد إثبات الخبر وسوقه في صالح أبي تمام شاعراً فذاً. والآخر، حجاج مسرود ينقل لنا أحداث الحكاية وأقوال الشخصيات ومواقفها. وهكذا يمكن أن تتوالى المستويات الحجاجية في خبر واحد، كما تتوالى المستويات السردية في مقطع سردي واحد، فتصبح بعد ذلك العلاقة بين الأخبار

(١) الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، ص ص، ٦٥، ٦٦.

علاقة سردية حجاجية. ومن هنا فإن وظيفة السرد الحجاجية تكمن في قدرته على التوجيه واختيار الأحداث التي تنزع إلى البرهنة عن الأطروحة، وتفسح المجال أكثر للوسائل المختلفة التي تهدف إلى الإقناع والاستمالة[١]. إنّ هذا الخبر وما جرى مجراه يكشف لنا عن طرفي السياق التخاطبي الخارجي: الأول، هو الإخباري الصولي، والآخر هو القارئ، وقد سعى الصولي إلى إقناع القارئ بأطروحتين: الأولى، أن الخبر حقيقي وواقعي له رواة ثقات ومعروفون منهم البحتري الشاعر، والثانية، أن أبا تمام متقدم على أهل زمانه في الشعر والعلم والحفظ والدراية. ولا شك أن الصولي في الأطروحة الثانية أراد أن يكشف عن حركة النقد التي دارت حول شعر أبي تمام، وأنه كان شاهداً عليها ومشاركاً فيها، وجعلها جزءاً مهماً من كفاءة أخبار أبي تمام، وهكذا كانت أخباره تلك تعمل بفاعلية وتدفع نحو الإمتاع.

ويبدو حضور الراوي المؤلف/ الصولي دائماً ضمن صيغة الإسناد بالقول (حدثني أو حدثنا)، أسلوباً حجاجياً؛ فالراوي هو من يحكي أو يقدم من يحكي، ضمن خطة قد أحكم خيوطها. وهكذا يأتي الخبر مؤسساً على أعمدة الاعتقاد والصدق والإذعان والقبول؛ فيصبح من الضروري أن يكون التحول الذي نراه في أخبار الصولي له وجهة حجاجية هي تعزيز الكتابة من خلال المنطلق اللغوي، إلى جانب المشافهة والسماع. وهنا ندرك أن الصولي في تدوينه تلك الأخبار وصل بالخبر إلى منطقة الخطاب الحجاجي، فنقله من رواية غايتها النقل والإثبات عن طريق الإسناد، إلى أدبٍ فنٍ غايته الإمتاع والإقناع، زد على ذلك أنّ المسلك الحجاجي

(١) ينظر: الدريدي(ساقة)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة(بنيته وأساليبه)، ط١، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ص ٢٠٠٨م، ص ٢.

أصبح ذا حضورٍ فعّال في كثير من أخبار أبي تمام، وجاء عبر أقسام تُساق وتُنسق على أساس علاقة أبي تمام بمعاصريه[١]، ولعل الجانب الحجاجي يتجلّى أكثر في انتظام الأبواب عبر منطق زمني فاعل؛ خاصة في أخبار أبي تمام مع معاصريه. وهكذا يكون بناء السلّم الحجاجي زمنياً في هذه الأخبار، فيكشف لنا عن شخصية أبي تمام، وكيف كانت ترتقي مع معاصريه، وكيف كان موقف الصولي إزاء ذلك كلّه.

(١) عمد الصولي إلى تقسيم كتابه إلى أقسام، وفق تسلسل زمني ومنطقي، ووضع عنواناً لكل قسم، يفصّل فيه أخبار أبي تمام وعلاقاته مع أهل زمانه، وأخبار خاصة رواها أبو تمام نفسه.

الخاتمة :

إنّ راوي الأخبار وكاتبها لا يروي ولا يكتب من فراغ، وقراءاته السابقة، واطّلاعه على منوال الكتابة الأدبية يؤثران إن قليلا أو كثيراً في كتاباته ؛ بيدَ أنّ ميثاق الأخبار الذي التزم به أمام القارئ وطبيعة موضوع قوله ومقاصده التداولية يجعلانه تحت تأثير مايقتضيه الواقع المرجعي وتتطلبه تقاليد الكتابة في الخبر. هكذا كانت الفكرة التي انطلقنا منها في بحثنا هذا المعنون بـ" ميثاق الأخبار ومشروع الكتابة عند الصولي، قراءة تداولية في كتاب أخبار أبي تمام"، وقد كان همّنا أن نقف في القسم الأول منه على الخبر والهوية الأدبية ؛ فتجلّت تلك الهوية من خلال ثلاثة مكونات هي قطب الرحى في قراءة أخبار أبي تمام. أولها المكون الشعري الذي شكّل مساحة كبيرة في تلك الأخبار، ورأينا استغلال الإخباري له في بناء نصه، وقدرته على المقارنة بين الأقوال والأحكام النقدية، وهكذا جاء الشعر ليزاحم الخبر ويضفي عليه صفةالأدبية. وثانيها المكون النقدي، وقد كشف لنا عن الحركة النقدية التي أثارها شعر أبي تمام وموقف أهل زمانه منه ؛ لذا كان من الضروري أن نكشف عن تقاليد الكتابة النقدية عند الصولي ؛ فقد تبين لنا أن النقد قد أُدمِج في البنية النصية للخبر، وحرص الصولي على البيان النقدي ؛ لانخراط مدونته في تقاليد الكتابة النقدية. أما ثالث هذه المكونات، هو المكون السردي، الذي أثبت أن الخبر عند الصولي كتابة سردية تحوي مقاطع طويلة أو قصيرة، تندرج ضمن إطارها أحداث وشخصيات، على نحو ما نجد في نصوص السرد الأخرى، فقد نقل الصولي أخبار أبي تمام وجعل فضائله مجسدة في مسار حدثي يقنع بأنه حدث فعلاً لا تخييلاً.

أما القسم الثاني من هذا العمل، فكان مدار البحث حول الخبر وسلطة المؤلف، ورأينا أن أخبار أبي تمام قد جاءت في إطار تجربة ثقافية إدراكية يقترح بمقتضاها الصولي على القارئ إدراكاً للأخبار، أو نظرة إلى موضوع ما يشترك معه في الاهتمام به. فكان الجانب الأول مركزاً على الخبر ومشكل القراءة، وقد تجسدت النظرة إلى مدونة الصولي في معنى القراءة والتأويل، ولعله استطاع أن يجعل القارئ ينخرط في ذلك، وهكذا جاءت أخباره تلك وهي تحمل إشكالات ثقافية منطلقة من قضية الإسناد وتعدد الرواة، وصولاً إلى القيم المتداولة بين الكتاب في صوغ الأخبار. أمّا الجانب الثاني، فكان اهتمامنا بالخبر خطاباً حجاجياً، وقد أتاح لنا النظر في تلك الأخبار من خلال مجموعة من الآليات الإجرائية والتداولية التي كانت مظلمة في الخبر، فتبين دور الوسائل الحجاجية التي يوظفها الصولي في الإقناع والانقياد لأطروحته. وهكذا سعى الصولي إلى إنارة جوانب جديدة من الخطاب؛ فقد أصبحت كتاباته فضاءً تتشكل فيه صورة الكاتب، كما تتشكل فيه صورة المتلقي تبعاً للمقاصد الحجاجية.

لقد احتلت أخبار أبي تمام للصولي منزلة مهمة في حركة النقد العربي القديم، وأنارت مسالك الدراسة الأدبية بجملة من القضايا، وجعلت القارئ يقف على لون من حياة الأدب وقرّاءه؛ بل إنها أعطت صورة حية لواقع الأخبار والإخباريين، ومن هنا كان من الضروري أن نناقش هذه المسألة من منظور تداولي، ونفسح فيها المجال واسعاً لجملة من المقاربات النقدية الحديثة، من قبيل الإنشائية والسيميائية والموضوعاتية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

[١] الصولي(أبو بكر)، أخبار أبي تمام، تحقيق: بيتاريس جريندلر، د. ط، المكتبة العربية، د.م

ثانيا: المراجع:

[٢] إبراهيم(عبدالله)، السردية العربية، بنية الموروث الحكائي، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.

[٣] إيكو(أمبيرتو)، ست غابات في السرد، ترجمة: سعيد بنكراد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.

[٤] بحيري(سعيد)، علم النص، المفاهيم والاتجاهات، ط١، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية للنشر، ١٩٩٧م.

[٥] جابر(سعيد)، من السردية إلى التخييلية(بحث في الأنساق الدلالية في السرد العربي)، ط١، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، الجزائر، ٢٠١٣م.

[٦] الجراح(عبدالمهدي)، فاعلية المكون السردي في الاتساق اللساني للنص، (نماذج من شعر أبي فراس)، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد ١٥، عدد ١ نيسان، ٢٠١٨م.

[٧] دايك(فان)، النص والسياق، ترجمة: عبدالقادر قنيني، ط١، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

[٨] الدريدي(ساقة)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة(بنيته وأساليبه)، ط١، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ص ٢٠٠٨م.

[٩] راوينية(حفيظة)، مقاصد المتكلم، وأثر المقام التخاطبي في التلقي وإنتاج الدلالة(قراءة تداولية في رسالة النعمان بن المنذر إلى كسرى)، مجلة التراث العربي، عدد١٦، كانون الأول ٢٠٠٩م.

[١٠] روبول(آن) وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دعفوس، ومحمد الشيباني، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.

[١١] زروق(محمد عبدالله)، التاريخي والتخييلي في الخبر، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد٣١، سبتمبر ٢٠١٩م.

[١٢] السعداوي(سلوى)، قراءات في نصوص سردية، ط١، مركز النشر الجامعي، منوبة، ٢٠١٥م.

[١٣] السلمي(جعفر بن الحاج)، المصطلح النقدي في أخبار العباس السبتي لابن الزيات، مجلة المنهل، عدد٣٩، مجلد ١٦، وزارة الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م.

[١٤] سمير(حميد)، في التراث الأدبي، ط١، النادي الأدبي بجدة، ١٤٣٠هـ.

[١٥] صمود(حمادي)، بلاغة الانتصار في النقد العربي القديم،" رسالة أبي بكر الصولي إلى مزاحم بن فاتك أنموذجاً"، ط١، دار المعرفة، تونس، ٢٠٠٦.

[١٦] عبود(حنّا)، النظرية الأدبية والنقد الأسطوري، د. ط، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، د.م، ١٩٩٩م.

[١٧] العمري(محمد)، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د.ط، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٥م.

[١٨] الغزاوي(أبو بكر)، الحجاج في اللغة، مفهومه ومجالاته، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م.

[١٩] القاضي(محمد)، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٩٩٨م.

[٢٠] كحولي(محمد الناصر)، الحجاج في الخبر الأندلسي(حجاجية التخييل وتخييل الحجاج)، ط١، دار محمد علي الحامي، تونس، ٢٠١٦م.

[٢١] المبخوت(شكري)، نظرية الحجاج في اللغة، ط١، سلسلة أدب، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.م. د.ت

[٢٢] المبخوت(شكري)،نظرية الحجاج في اللغة (ضمن الكتاب الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، ط١، منشورات كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م.

[٢٣] مفتاح (محمد)، مجهول البيان، ط١، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٩٠م.

[٢٤] ميشبال (محمد)، عن مفهوم البلاغة(دراسة في العلاقة بني الأدب والبلاغة)،مجلة ثقافات، العدد ١٩ -٢٠، ٢٠٠٧م.

[٢٥] الواد(حسين)، اللغة الشعر في ديوان أبي تمام، ط١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥م.

[٢٦] الوغلاني(خالد)، جنس المقامة وقضايا القراءة، أو نحو قراءة جديدة لمقامات الهمذاني، مجلة مقاباسات، مجلد ٥ ، جامعة تونس، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، ٢٠١٤م.

sources and references:

First: the sources:

[1] Al-Souli (Abu Bakr),Akhbar Abi Tammam, investigation: Petaris Grindler, d. I, The Arabic Library, d

Second: References:

[2] Ibrahim (Abdullah), The Arabic Narrative, The Structure of the Storytelling Inheritance, 2nd Edition, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2000.

[3] Eco (Umberto), Six Forests in the Narrative, translated by: Said Benkrad, 1st Edition, The Arab Cultural Center, Beirut, 2005.

[4] Behairy (Said), The Science of the Text, Concepts and Attitudes, 1st Edition, Library of Lebanon, Publishers, The Egyptian Publishing Company, 1997.

[5] Jaber (Said), From Narrative to Imaginary (Research in Semantic Forms in the Arabic Narrative), 1st Edition, Dar Al-Aman, Manshurat Alikhtilaf , Rabat, Morocco, Algeria, 2013.

[6] Al-Jarrah (Abdul-Mahdi), The Effectiveness of the Narrative Component in the Linguistic Consistency of the Text, (Samples from Abi Firas' Poetry), Journal of the Union of Arab Universities, Volume 15, Issue 1 April, 2018.

[7] Dyck (Van), Text and Context, translated by: Abdel Qader Kenini, 1st Edition, Africa East, Casablanca, 2000.

[8] Al-Daridi (Saqqa), Al-Hajjaj in ancient Arabic poetry from pre-Islamic era to the second century of hijra (structure and methods), I 1, Alam Alkutub Alhadithah , Jordan, 2008.

[9] Rawiniya (Hafezah), the intentions of the speaker, and the impact of the conversational position on reception and production of significance (reading in the letter of al-Nu'man ibn al-Mundhir to Khosrau), Arab Heritage Magazine, issue 16, December 2009.

[10] RuPaul (Ann) and Jacques Mochlar, Pragmatics today is a new science in communication, translated by: Seif El-Din Dafous, and Muhammad Al-Shaibani, 1st edition, Arab Organization for Translation, Beirut, 2003.

[11] Zarrouk (Mohammed Abdullah), Historical and Fictional in Al-Khobar, Journal of Arts, King Saud University, Volume 31, September 2019.

[12] Al-Saadawi (Salwa), Readings in Narrative Texts, 1st Edition, University Publishing Center, Manouba, 2015.

[13] Al-Salami (Jaafar bin Al-Hajj), the critical term in the news of Al-Abbas Al-Sabti by Ibn Al-Zayat, Al-Manhal Magazine, No. 39, Volume 16, Ministry of Cultural Affairs, 1990.

[14] Samir (Hamid), Fi alturath adadabi , 1st Edition, Jeddah Literary Club, 1430.

[15] Sumuad (Hammadi), the eloquence of victory in ancient Arabic criticism, "Abu Bakr Al-Souli's letter to Muzahim bin Fatek as a model", 1, Dar Al-Maarifa, Tunis, 2006.

[16] Abboud (Hanna), literary theory and legendary criticism, Publications of the Arab Writers Union., 1999.

[17] Al-Aamri (Muhammad), The New Rhetoric between Imagination and Deliberation, East Africa, 2005.

[18] Al-Ghazawi (Abu Bakr), Al-Hijaj Fi allughah , Its Concept and Fields, 1st Edition, Modern Book World, Irbid, Jordan, 2010.

[19] Alqadi (Mohammed), the news in Arabic literature, a study in the Arabic narrative, 1st edition, Dar al-Gharb al-Islami, Tunisia, 1998 AD.

[20] Kaholi (Mohamed Al-Nasser), Al-Hajjaj in Al-Khobar Al-Andalus (Hajjaj Al-Takheel and the Imagination of Al-Hajjaj), 1st Edition, Dar Muhammad Ali Al-Hami, Tunisia, 2016.

[21] Al-Mabkhout (Shukri), Al-Hajjaj's Theory of Language, 1st Edition, Literature Series, Faculty of Arts, Manouba, Tunisia,

[22] 21- Al-Mabkhout (Shukri), Al-Hajjaj's Theory of Language (within the Collective Book: The Most Important Theories of Al-Hajjaj in Western Traditions from Aristotle to Today), Supervision: Hammadi Samoud, 1st Edition, Publications of the Faculty of Arts, Manouba, 1998.

[23] Muftah (Muhammad), majhool Albayan , 1st edition, Dar Toubkal Publishing, Morocco, 1990.

[24] 23- Mishbal (Muhammad), on the concept of rhetoric (a study in the relationship between literature and rhetoric), Cultures Magazine, No. 19-20, 2007.

[25] Al-Wad (Hussain), The Language of Poetry in Abi Tammam's Diwan, 1st Edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 2005.

[26] Al-Waghlani (Khaled), Jins Maqamat and Reading Issues, or Towards a New Reading of Maqamat al-Hamadhani, Muqabasat Magazine, Volume 5, University of Tunis, Higher Institute of Human Sciences, 2014.